

تأليف

محمود شاكر

المكتب الإسلامي



محمود شاكر

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩١م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - برقيا : اسلاميا - تلكس : ٤٠٥٠١ - هاتف : ٤٥٠٦٣٨
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٥٦٦٠٥ - فاكس : ٧٤٨٥٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وَبَعْـدُ:

فإن العـالم اليوم يعـجّ بالأحداث الجسيمة، والمشكلات العقيمة، التي تبدو أنها مستعصية الحلّ. وقد تحدث تطورات تغيّر كثيراً من هذه الأحـداث، ولكنهـا دائمـاً في غير مصلحـة المسلمين كمـا أن معظم المشكلات القائمة في العالم يخصّ المسلمين بالدرجة الأولى. ومع ذلك فالمسلمون يعيشون على هامش هذه الأحـداث، وعلى حافـة هذه المشكلات، يظنونها بعيدة عنهم، وهم واقعون فيها، وتلفّهم من كل ناحيةٍ، وتحاول ابتلاعهم. هذا إن لم نقل إن بعضهم يشكل عنصراً أساسياً في المخطط، وله دور في اللعبة دون أن يدري، يُحرِّك، ويُوجِّه، ويُنفِّذ، وحسبه هذا.

هذه الأحـداث، وهذه المشكلات، إنما هي من ألاعيب الـدول الكبـرى تُخـرجهـا بعد دراساتٍ مُستفيضةٍ، توظّف لها

الإخصائيين، وتُعيّن لها الأفواج من الرجال والنساء، ثم تُخرجها مخـططات، وتُسخّـر لتنفيذهـا أعـوانهـا المنتشرين في مناطق الأحـداث وفي مواطن المشكلات. وهؤلاء الأعوان قد أعمتهم مصــالحهم، وأهمّتهم شهـواتهم، فلا يرون أين يسيرون، ولا يعـرفـون أن ما يقـومـون به ليس إلاّ لمصلحة أعدائهم، وضدّ أمتهم، بل وضدّ أنفسهم ذاتهم، وكفى بهذا ضلالاً وإجراماً بحقّ أوطانهم، وشعوبهم، وأمتهم.

أهداف الدول الكبرى

تهدف الدول الكبرى إلى :

١ - السيطرة على مراكز الثروات، ومحطّات التجارة، من أجل الحصول على الثروة، ومحاولة جمع اقتصاديات العالم بأيديها، وهذا ما يهيّء إمكانية بسط النفوذ، والتحكّم بدول وحكومات المناطق التي تبسط نفوذها عليها. وتتسابق الدول الكبرى من أجل هذا، بل وتتنافس، حتى ليخيّل للناس عامة أن هذه الدول تتصارع فيما بينها، وربما يصل هذا الصراع إلى حربٍ طاحنةٍ، فتتخوّف المجتمعات ممّا قد يؤول إليه هذا الصراع، وخاصّةً أنها دولٌ كبرى. وقد ذاق العالم ويلات حربين عالميتين لا يفصل بينهما سوى مدةٍ وجيزةٍ. وينسى الناس أن هناك عوامل مشتركةً تجمع بين هذه الدول الكبرى، تلجم هذا الصراع، وتكبح جماحه، وتقف حاجزاً دونه. وهذه العوامل: حربها ضدّ الإسلام، الأحقاد والدوافع الصليبية، وغالباً ما يُثير اليهود النصارى، ويشجعونهم للعمل ضدّ

المسلمين، وإن كانت الأصابع اليهودية كثيراً ما تتحرّك باتجاه إثارة الحرب بين الدول الكبرى لتستفيد من ظروف الحرب، ولكنها في الوقت نفسه تتخذ النصرانية مطيةً لها، وتعمل على تسييرها لتنفيذ أغراض اليهود، ومن هذه الأغراض ضرب المسلمين. فإذا وقعت حربٌ بين الدول النصرانية خفّ الضغط على المسلمين، وربما قوي أمرهم، وفي الوقت نفسه تكون مطية اليهود قد أضحت دون قوائم تقف عليها، وهذا ما يخفّف من حركتهم، وعندها يضطرّون للتقوقع على أنفسهم أو اختفائهم في جحورهم، لذا فهم لا يثيرون الصراع بين الدول الكبرى حتى يصل إلى صدامٍ، أو إلى وقوع حربٍ طاحنةٍ، وإنما إلى منافسةٍ وتحفّزٍ، وإبقاء العالم في حالة تسابق إلى السلاح.

٢ ـ السيطرة على بلاد المسلمين، لاستغلالها، والتحكّم بأبنائها، والتشفّي منهم بإفراغ بعض شحنات الحقد ضدّهم بالإبادة والتعذّيب، ومحاولة إبعادهم عن دينهم، وإفقارهم، وإذلالهم. وكل ذلك ضمن مخططات تنفّذ، بعضها ظهر وعُرف، وبعضها لا يزال غامضاً، ومنها في حالة الإعداد. وتعطي كلها صورةً عن الحقد والكراهية ولؤم النفس.

٣ ـ السيطرة أو مدّ النفوذ على أجزاء الأرض، إرضاءً لغرور النفس، وحبّاً في التسلّط والجبروت. فالنفوس اللئيمة يدخلها السرور عندما ترى الأعزّة يتساقطون أمامها يطلبون منها المساعدة لإنقاذ الحياة، أو لتأمين حاجة.

وَسَائِل الدّول الكبرىٰ

اتخـذت الـدول الكبـرى عدّة وسـائـل لتحقيق أهدافها، وتختلف هذه الوسائل حسب المرحلة التي قطعتها الدول الكبرى في تنفيذ أغـراضهـا، وردّ الفعـل الـذي تجده، وحسب طبيعة السكان الذين تجري عليهم تجاربها. ومن هذه الوسائل:

١ ـ الإبادة:

وهي وسيلةٌ اتخــذتهــا الـدول الكبـرى في أول مراحـل الاستعمـار، حيث كانت تريد أن تزيح من طريقهـا أعداداً من السكان، لتحلّ محلّهم في العمل، والأملاك، والسكن، ولتقلّل من أعداد الذين يمكنهم مقاومتها في المستقبل، وإن لم تتخلّ عن هذه الوسيلة في يومٍ من الأيام إلاَّ أنها قد أوكلت القيام بها لغيرها من أبناء البلاد، وكم تشعر بسعادةٍ عندما تقع حرب إبادةٍ بين المسلمين، وإن كانت تبـدي الاستنكـار بوسـائل الإعلام المختلفة، وهو ليس إلاَّ تصريحات فارغة، أو كلاماً مكروراً لا يؤدّي إلى نتيجة، ولا يكون منه إلاّ تسجيل موقف، وإعطاء العامة

صورةً غير صحيحة عن واقع الدول الكبرى. ولكن قد أوكلت هذه الدول القيام بهذه المهمّة إلى بعض أعوانها الذين تسلّطهم على المسلمين في سبيل تنفيذ مخططاتهم، والأمر واحد إن كانوا من المسلمين أم من غيرهم. والـواقع أنهم إن كانوا منهم فهو أفضل لها، إذ تكون قد فرّقت بين المسلمين، ولا يسبّب ذلك تكتّل المسلمين، ومنابذة من يتسلّط عليهم على أنه ليس منهم بل عدوّ لهـم. ومن هذا خرج المستعمـرون من البلدان التي دخلوهـا، وبسـطوا نفوذهم عليها، وتسلّطوا على أهلها وأرضها مدّة، وأنـابـوا من يقـوم عنهم بهذه المهمّة، فأراحوا أنفسهم، ومُخططاتهم تُنفّذ بشكل أفضل وأكثر هدوءاً.

ولا يفكّـرون بإبـادة المسلمين إلاّ عنـدمـا يعجـزون عن تنصيرهم، فمحاولة التنصير هي المرحلة الأولى، ولكن بدا لهم أن تنصير المسلمين أمر مستحيل عليهم.

٢ ـ الاحتواء:

يمكن احتواء رجال الفكر، والقادة بطرق كثيرةٍ، واحتواء قائد جمـاعـةٍ أو تنـظيمٍ، أو عددٍ منهم إنمـا هو احتواء الجماعة أو التنـظيم، والسير بهـا إلى حيث يريد المخطط. والمشكلة أن الاحتواء يكون بهدوء، فلا يشعر به أفراد التنظيم، ويبقون يظنون

أنهم يسيرون في خطٍّ مستقيمٍ واضح، لم يتغيّر شيءٌ في المبدأ الذي يعملون له، ولم يتبدّل شيءٌ في منهجهم الذي يسيرون عليه، ولا يدرون أنهم أصبحوا في وادٍ، وما ينادون به في وادٍ آخر. ومن طرق الاحتواء:

أ ـ التخلّي عن المبدأ: وهو تسليم القائد منصباً من المناصب العليا الحسّاسة من قبل خصومه السياسيين، أو الذين يخالفونه في الفكر والمبدأ، وما أن يقبل حتى يكون قد وقع، وليبرر ما قام به يبدأ بفلسفة الموضوع: إن وجود شخص يقوم على الأمر بإخلاصٍ أفضل من أن يتولاّه رجلٌ يفسد ويؤذي الرعية، ويردّد وراءه مُحبّوه هذا الكلام أيضاً. ويصبح بعدها ومع مرور الأيام أداةً طيّعةً للطغاة والظالمين الذين يستفيدون من هذا التصرّف كثيراً، إذ يعلنون أنهم لا يعرفون التفرقة، ولا يعادون أصحاب اتجاهٍ معيّن، ويريدون الإصلاح، وهاهم يُسلّمون فلاناً، ويختارون فلاناً، و. . .

إن استلام منصبٍ أو مركزٍ أمرٌ ضروريٌّ في سبيل العمل على النهوض بالمكان، وبتر الفساد فيه واستئصال من لا يصلح، غير أن هذا لا يكون إلاّ برأي جماعي، واختيار من يصلح لهذه المهمّة. في مثل هذه الحالة يصحّ إشغال عمل في وسطٍ لا

يحكم بمـا أنـزل الله . أمّـا التصرّف الفردي فليس هو إلاّ رغبةً بالمنصب، وحبّاً بالمركز، ثم محاولة التعليل. وإذا كان التصرّف الفردي ضمن جماعةٍ لا يلبث أن ينفصل عنها إن كانت تحافظ على مبـادئهـا، وتحتـرم ذاتهـا، وربما أدّى هذا الانفصال إلى تشكيل جمـاعـةٍ خاصـةٍ به، يكثـر فيها المنتفعون، وأصحاب المصالح. وأمّا إذا كانت الجماعة تتساهل في مبادئها، ولا تبالي بها كثيراً، وتحاول استرضاء الأشخاص على حساب المبادىء فإن القضية عندها تتميّع بعد مدّةٍ، وتنقلب الجماعة إلى تجمّع هدفه تحقيق بعض المكاسب السياسية، وتحقيق بعض المصالح للقادة أو القواعد، وانتهى الأمر، وكلّ حزبٍ بما لديهم فرحون، يفـرحـون بأخـذ المـراكز، واستلام الوظائف، والحصول على المنافع المادية أو الدعائية.

ب ـ **السقوط**: للنفس البشرية رغبات تسعى وراءها، وهي إمّا سامية: كالدين، والأخلاق، عند أهلهما، والسمعة، والفخر عند عامة الناس، وإمّا متدنيّة: كالجنس، والمال، والمركز عند أصحـاب الشهـوات والأطمـاع. ويغلب جانب على جانب باختلاف النفوس، وتنوّع الطبائع، حتى إنه يكون لبناء الجسم أثر، وللتربية دور، وللبيئة أهمية.

ويسقط الإنسان من علٍ إلى أسفل نتيجة الإغراء والتلويح بالشهوات. وقد جرت عادة رجالات الدول الكبرى، أو الذين يلعبون بالمخطّطات، ويحرّكون الأقزام على الشاشة، أن يوجّهوا البحوث والدراسات حول أشخاص يريدون اصطناعهم، أو آخرين يريدون سقوطهم، ويوجّهوا لكلٍّ ما يناسبه، فذاك يوجّهون إليه امرأة، وآخر يغرونه بصفقةٍ تجاريةٍ رابحةٍ، وثالثاً يؤمّنون له مركزاً مُغرياً، ويحدث الصراع، فإمّا أن تكون هناك مقاومة ممّن يخشون الله، وأولئك هم الراشدون، أو يخشى السمعة والذكر، وذلك هم العاديون، أو لا يخشى شيئاً، وتضعف المقاومة، ويسقط، ويتمرّغ في الوحل. . . ، ويترك المخطّطون من يسقط، ويكلّفونه، ويأمرونه، فإذا نفّذ كلّ ما يريدون تركوه يرتع في مرعاه سرّاً، ويصبح عندها أسيراً لهم، كلّما أراد أن يبتعد عنهم خاف الفضيحة فأحنى رأسه لهم.

وربما سقط ببعض هذه الإغراءات بعض الرجال الذين يحملون مبادىء ساميةً، وينادون بها، ويرفعون شعاراتها، فيبقى في مكانه، ويقود جماعته نحو الهاوية، وهم لا يعلمون، يصرخون بمبادئهم. . . ، ويقدُم بهم قادتهم نحو الهاوية.

جـ ـ الارتباط: يختلف الارتباط بدولةٍ ثانيةٍ بين فريقٍ وآخر،

فهناك أناس أغراهم نظامٌ سائدٌ في دولة، وغرّهم أسلوبٌ شائعٌ، فيريدون السير على نهجه، فيطلبون الدعم لتطبيق ذلك النظام، رغبةً فيه، ومحاولةً لتنفيذه، ويحصلون على المساعدة في سبيل سيطرة هذا النـظام، وربطاً لأشخاص بهم يكونون أداةً لتحقيق أغـراضـهم، وسيطرة سياستهم، ومـدّ نفـوذهم، وهؤلاء هم العمـلاء، سواء أكانوا يشعرون أم لا يشعرون، كالذين يتلقّون التوجيهات من موسكو لتطبيق الشيوعية في بلدهم، ومدّ النفوذ الروسي إلى أقاليمهم، ثم لتحقيق أطماعهم وشهواتهم بالسلطة، والنفوذ، والمركز، والجنس. ومثلهم الذي يُوجّه من واشنطن، أو لندن، أو باريس، أو برلين، أو. . . . إنّي لا أخصّ هؤلاء ولا أعنيهم، إذ لا أعـدّهم من الأمة، إن هم إلّا مجموعة من تلك الأمة التي يرتبطون بها، بُذِروا في ديارنا، فتكلّموا لغتنا، وادّعوا أنهم على عقيدتنا، ولكنهم في الواقع يدعون إلى كلّ ما ينبع من عقيدة تلك الأمـة البعيدة عنّـا، المغـايرة لنا في الغـايات، والأهداف، وأسلوب الحياة، ومنهجها، فكلّ هذا ينبع من العقيدة.

وإنما أعني أولئك الذين يرتبطون بعقيدة أمتهم، وغالباً ما يؤدّون واجبـاتهم نحـوها، ويرفعون شعاراتٍ إسلاميةً، وينادون

بتطبيقها، غير أن الشيطان قد سوّل لهم فأنساهم بعض ما أنزل الله، وأعماهم ما زيّن لهم الأعداء. . .، فوقعوا في خضم الأحداث، وأخذوا يُدافعون الأمواج، وتتقاذفهم التيارات، وهم لا يدرون أيسيرون على خطأ أم على صواب، بعضهم يقول هذا، وبعضهم الآخر يعترض، القواعد تشعر بشيءٍ من الانحراف فتستنكر. ويُحسّ آخرون أن الأمر سليم، يُريدون النصر، يرغبون بالنصر، الثأر، وأخيراً يؤيّدون، بل يطلبون المزيد من الاندفاع، وفي النهاية، وفي سبيل وحدة الصفّ، والمحافظة على الجماعة، والتماسك أمام الخصوم، والارتباط بالاسم التاريخي الذي كانت له سمعته، تبقى الجماعة بمظهر مُتكتّل، وإن الزيغ والدغل ليملآن وسطه، ويرضون بما يقول الكبار، ويُؤجرونهم عقولهم ليفكّروا عنهم، وليخطّطوا لهم، وما على الآخرين إلّا السمع والطاعة، والدفاع عمّا يحدث، ولو كان خطأً كبيراً، بل وفيه إثم.

في كلّ أمةٍ منافساتٌ شخصية، ومدينيةٌ، وجهويةٌ، وإقليميةٌ، وحزبيةٌ، وكلّها يجب أن توجّه في سبيل الخير، وتطبيق المنهج الأكثر صلاحاً، واتباع السياسة الأكثر نفعاً، غير أنه قد يتغلغل داخل هذه المنافسات جماعاتٌ يقتلها البروز، ويفتك بها

حبّ التسلّط وتسلّم مقاليد الأمور، أو الثأر من المنافسين الآخرين والكيد لهم. . . ، فإذا ما تأخّر بهم ما يريدون الوصول إليه ركبوا كلّ مركبٍ للوصول إليه، ولو كان يخالف مبادئهم، بل ولو كان يُلقي بهم خارج الدائرة التي يعيشون ضمنها، ويحرصون على البقاء فيها.

وهناك خارج الدائرة من يجثم يتأمّل ولديه الإمكانات الضخمة، وعنده القوة الكافية لتحقيق ما يريد، يرصد كلّ الحركات، ويدرس النفسيات، فإذا ما وجد المنافسة قد احتدمت والروح الداخلية تريد الانقضاض ترغب بالوصول وقد طار انتظارها. . . ، وهنا يُلقي الخصم شباكه، ويرمي بالطّعم، يعدهم ويمنّيهم، وما يعدهم الشيطان إلّا غروراً. فيُسرع المغفّلون يأخذون الطعم فيقعون في الشباك، وقد لا يدرون. يدّعي الخصم أنه على استعدادٍ لمساعدتهم ضدّ خصومهم، ويدّعي أنه لا يريد شيئاً أبداً أبداً، وإن كان. . . هذا الشيء البسيط فهو لا علاقة بالمساعدة، ولا يضرّ، لا شيء يصيب البلاد، لا شيء يؤثّر على العقيدة. . . بل ربما نتساعد ضدّ الأجنبي كذا. . . ، وفي هذا خير. . . ، ونقدّم للبلاد كذا، نتعاون في التنقيب عن الآثار، تبرز الحضارة العريقة لديكم.

وإذا ما وقع الطامعون في الشباك بدأ الضغط، وأخذ التوجيه ينصبّ، وإذا ما حاول أحدهم الخروج من الشباك عليه أن يختار إمّا السقوط والإلقاء بين المهملات، وقد يكون الإذلال وتشفّي الخصم الذي يعلو مكانه وترتفع منزلته، ويحلّ محلّ سابقه، وربما وصل الأمر إلى القتل، وإمّا الإبقاء في المكان نفسه يتلقّى الأوامر، يسمع ويطيع، ويُنفّذ كلّ ما يُطلب منه مع خنوع وذلّ، بل على استعدادٍ لتنفيذ أكثر ما يُراد منه، من مخطّطاتٍ ومشروعاتٍ. وإن أكثر الناس لتحرص على الحياة، ولو بالذلّ، وإن مُعظمهم ليصعب عليه النزول بعد رفعةٍ، والانكسار مع الخصم، لذا فإنه يفضّل الاستمرار في وضعه ولو ذلّ للغريب إذ لا يراه أحد، ولا مانع عنده من أن يذلّ الناس جميعاً للعدو في سبيل المحافظة على مكانته. . . ، ويتنازل عن كلّ شيءٍ، وبذا يكون قد سقط، وغدا مرتبطاً.

وفي الوقت نفسه يكون العدو يُغازل المنافس الآخر أو المنافسين، يعدهم بالمركز مكان منافسهم فيما إذا وافقوا على ما يُريد، أو وعدوا بتحقيق ما يريد تحقيقه. وهنا يبدأ تقديم التنازلات، وإظهار الخضوع، إذ أن عدداً من الناس ليسعدهم جداً الانتصار على منافسيهم وإذلالهم بين أيديهم، ولو كان ذلك على حساب كرامتهم، بل وعلى حساب أمتهم كلها.

وعلى هذا يكون للعدو الأجنبي أكثر من مركبٍ يمتطيه أو جوادٍ يعلو صهوته. وكلٌّ يُبدي حسن ركوبه وراحة راكبه، فإذا ما تعثّر جواد، أو تلكّأ في تنفيذٍ استبدل بآخر، وهذا يُسمّى بلعبة الجياد. وبذا يبقى الغريب جاثماً على صدر الأمة، وهي تئن من وطأته، ولا تستطيع حراكاً، إذ أن بعضها باسم غيره يتسلّط على بعضها الآخر.

د ـ **الأحلاف**: مجموعة من الدول أو الجماعات يلتقي بعضها مع بعضٍ في سبيل هدفٍ يعمل له الجميع، وإن كان بوسائل مُختلفة أو مُتباينة. وغالباً ما يكون بينهم قوي هو الذي يوفّق بينهم ويعمل على جمعهم، وفي أكثر الأحيان يكون رأيه هو المسموع، ويستطيع التوجيه، وفرض الكلمة، وتنفيذ ما يرغب، والآخرون يسمعون في سبيل تحقيق الهدف الذي يسعون إليه.

وكما كانت القبائل تلجأ إلى مثل هذه الأحلاف، والقبيلة الكبيرة تفرض رأيها، وتذوب فيه بقية الأفكار، وكذلك فإن الدول الكبرى تقوم بمثل هذا اليوم، وأعطي مثلاً للتوضيح، أرادت الولايات المتحدة ضمّ عددٍ من الدول في حلفٍ بغية تسيير دولٍ لم تكن تسير في فلكها، وفرض رأيها على الدول التي لم تكن تفرضه عليها بصورةٍ كاملةٍ، فأعلنت عن إنشاء حلف بغداد

(الحلف المركزي فيما بعد)، وأعلنت أن الهدف من وراء ذلك مُحاربة الشيوعية، فانضمّت إلى ذلك الحلف الدول التي تُعادي الشيوعية، أو تخشاها، أو تخاف من اتباعها. ومُعظم هذه الدول تقع على هامش الامبراطورية الروسية أو على الخطّ الثاني.

أصبحت هذه الدول ضمن حلفٍ يتكلّم فيها القوي، وهو الولايات المتحدة وإنكلترا، ويسكت الضعفاء، وهي بقية الدول. ويفرض القوي رأيه، ويتقبّل هذا الآخرون. فالدول التي لم تكن لتسير في فلك هذه الدول الكبرى أصبحت تسير، وغدت تمشي ضمن المخططات الكبيرة، ودخلت وسط اللعبة الدولية، وصارت حجراً على رقعتها يُلعب بها، وهي تشعر أو لا تشعر. كانت في بداية الأمر تفكّر بالحلف أنه لمحاربة الشيوعية، فإذا بها بالفخّ، بل وفي شبكة الصيّاد يتصرّف بها كما يريد.

وكما تُصاد الدول بالأحلاف تصاد الجماعات بالطريقة نفسها فقد تنشأ جماعة أو حزب مُخالفةً للدول الكبرى في سياستها العامة، مُباينةً لها في مناهجها كلّها، من اقتصاديةٍ واجتماعيةٍ وسياسيةٍ و. . . حاملةً عليها في تصرّفاتها، وعندما تُريد الدول الكبرى جرّ هذه الجماعة أو الحزب إلى حظيرتها تدعو عن طريق أحد أعوانها، سواء أكانت دولةً أم حزباً أم

شخصيةً بارزةً لإقامة حلفٍ يجمع التجمّعات السياسية في البلد كلّه للتخلّص من متسلّطٍ أو نظامٍ ، أو. . . ، وما أن تُوافق هذه الجماعة أو الحزب على الانخراط في هذا الحلف أو الانضمام إليه إلّا وتكـون قد سقطت، وتخلّت عن مبادئها وأفكارها، قد تبقى عليهـا من حيث الممـارسة والتطبيق، أمّا من حيث البعد المعنـوي فقد تركتها وبانت عنها بينونةً كبرى، حيث سقطت، وإن كانت لا تشعر بذلك مباشرة ما دامت الممارسة والتطبيق لا تزال تمارسها.

وذلك لأن مُعظم التجمّعات السياسية من جماعاتٍ وأحزابٍ إنمـا هي تدور في فلك من دعا إلى هذا الحلف، أو إلى من يوجّهـه، بل وما استجابت إلى تلك الدعوة إلّا لأنها تلتقي مع الداعي للحلف في عددٍ كبيرٍ من النقاط، وقد يكون المنهج على رأسهـا. بل إن الذي يقوم بالدعوة لم يقم بها إلّا وهو يعلم أن الاستجـابة واقعة لا محالة، والقصد كلّ القصد والتخطيط إنما يُقصـد به ذلـك الحمـل الـوديع، الجماعة الصادقة المستعلية بمبـادئهـا، المستعصية على الدول الكبرى في تنفيذ سياساتها ومنـاهجهـا. بل لم يوجـد الحلف أسـاسـاً لولا هذه الجمـاعة الصـادقـة، فإن غيرهـا يسير في اللعبة الدولية، وفي فلك دول

كبرى، وضمن مناهج محدّدةٍ، أو يتبع على الأقل سياسةً تلقى رضىً من أصحاب التخطيط العالمي.

ويمكننـــا أن نتســـاءل كيف وافقت هذه الجمـــاعـة على الانضمام إلى الحلف رغم صدقها وإخلاص قواعدها؟! في مثل هذه الأحـوال غالبـاً ما تكـون أمثال هذه الجماعة تغلب عليها البساطة، ولا تعرف حيل الأعداء لطيب أتباعها، وتظنّ بالناس ظنّ الخير، ولا تتوقّع الخبث والمكر والدهاء، وهو ما يسود نفوس الساسة في هذه الأيام ـ مع الأسف ـ. هذا من ناحيةٍ، ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فإن الكـره للمتسلّط تدفع الإنسان الحرّ للتخلّص منه بأية صورةٍ حتى إنـه ليصيب عينه غشاوةٌ فينزلق في بعض المواضع التي لا يُريدها، ومنها هذا الزجّ في الأحلاف.

ويمكن أن نُضيف أن التأخّر في الوصول إلى بعض الوسائل والأهداف تجعل الكثير ممّن يرغب في هذا من ترديد الحديث، والضغط على القيادة، وخـاصـةً إن كان بينها من يعمل لهذا، ويسعى إليه سعياً حثيثـاً، فتقـع القيادة تحت التـأثير الجماعي والمــادي والنفسي، فيجعلهــا تقبـل الانخـراط في مثـل هذه الأحلاف، وأخيراً تكون النتيجة الوخيمة. . . من الارتباط بأذناب العملاء. . .، فهو تبعية لأتباع. وقد وقع مثل هذا في التاريخ،

حيث لا ننطلق من خيال ولا نتكلم بالوهم.

كانت جماعة إسلامية ذات ماض نظيفٍ، وتاريخٍ طيّبٍ سليم، وقد أحبت المحافظة عليه، وتسلّم أمرها قادة يمكن أن يغرّر ببعضهم، فتركوا الأمر لآخرين لا يتورّعون عن الكذب، وجرّ جماعتهم إلى المآزق في سبيل مصالحهم، فتصرّفوا، وسلّط الله على بلدهم ظالماً، فشرّد المسلمين، ونكّل بهم، وكان ممّن شرّد وأصابه التنكيل هذه الجماعة، فعملت بكلّ وسيلةٍ لتثأر من ذلك الطاغية، فاستدرجهم ظالمٌ آخر، وجرّهم إلى حلفٍ كانوا فيه تبعاً ينساقون وراء طاغيةٍ يلعب بهم كيف يشاء، ويُوجّههم كيف يُريد بحجّة أنه سيعينهم على طاغية بلادهم، ولكنه لم يفعل ولن، فالطغاة بعضهم أولياء بعض، وخاصةً أن عداءهم للإسلام واحد. ومن هنا وقعوا ضمن اللعبة الدولية، وصاروا أحد أحجارها، وهم لا يدرون. . . ، وتفكيرهم منصبٌّ على محاربة الطاغية، حتى إنهم بايعوا ورأّسوا عليهم ظالماً لا يقلّ عمّن سبق. . . ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

هـ - تجزئة بلاد المسلمين: عندما سيطر المستعمرون الصليبيون على بلاد المسلمين عملوا على تجزئتها، ووزّعوا هذه البلاد فيما بينهم فكان تجزئةً، ثم فرّقوا بينهم حسب الأجناس

والأصول فكان تجزئةً أخرى، ثم قسّموا المصر الواحد إلى عددٍ من الأجـزاء حسب أهـوائهم ومصالحهم، وعملوا على ترسيخ قواعـد هذا التقسيم بوسـائـل الإعـلام، والكتابة والنشر. . . ، وتعميق هذه المفاهيم، حتى غدا ذلك كأنه أمر بدهي فكان ذلك تجزئة ثالثة.

وجعل الأعداء المجتمع طبقات هذه غنية ثرية، وتلك فقيرة بئيسة، وبذروا بينهما الخلاف، وحكّموا واحدةً بأخرى، فنشأت الفرقة والانحرافات في التفكير. وأوجدوا فئاتٍ حسب المهن، فكـان العمّـال وكـان أصحـاب العمل، ونثروا بينهم الشقاق، وحـدث الصراع، ووقع اعوجاج في المفاهيم، فغدا العمّال لا يشتغلون بإخلاصٍ، ويبيحون لأنفسهم مال صاحب العمل، ممّا قلّل الإنتاج، وضاع على الأمة الكثير، وبالمقابل فإن أصحاب العمــل ينـظرون إلى العمّـال وقـد قلّ مردود عملهم، وتغيّرت نفسيتهم أنهم مقصّرون بعملهم، مفرّطون بحقّ أمتهم، يريدون أن يأخذوا أكثر ممّا يُقدّمون، بل وأن يُطالبوا بما ليس لهم. . . ، وهكـذا تكـون تجزئة رابعة وخامسة و. . تجزئة في الأمة، وفي البلاد، وفي النفوس، وفي الأفكار، و. . .

و ـ تسلّط بعض المسلمين على بعض: وجد المستعمرون الـصليبيون أن بقـاءهم في البلدان التي احتلّوهـا لم يخـدم

مصلحتهم أبداً، ولن يستطيعوا تنفيذ مخطّطاتهم، وأنه يكلّفهم الكثير من الرجال ومن المال، إذ أن سيطرتهم المباشرة ستبقي السكّان ينظرون إليهم نظرة العدو المغتصب، وهذا ما يوحّد صفوف أبناء البلاد مهما كان بينهم من خلاف، وأنهم سيقومون بحركاتٍ دائمةٍ، وأن كلّ عمل يسعى المستعمرون لتنفيذه سيجد الرفض والمقاومة، حتى اللغة الأجنبية سينظر إليها النظرة الخاصة، وأن المستعمرين مهما اصطنعوا من رجالٍ، ومهما قرّبوا من أعوان لن يفيدهم شيئاً، حيث يُنظر إلى هؤلاء المقرّبين نظرة العدو نفسها، ويُقال عنهم ما يُقال عن المستعمر تماماً بل يكون أحدهم مُعرّضاً للخطر أكثر من الأجنبي نفسه بصفته من أبناء البلاد، وعميل لأعدائهم.

وجد المستعمرون الصليبيون بممارسة التسلّط والتحكّم أن اختيار عناصر من البلدان التي يُسيطرون عليها ممن ربّوهم، أو وجدوا فيهم طموحات، أو لهم أطماع، أو عندهم إمكانات للتخلّي عن عقيدتهم ومبادئهم، أو هم أصلاً من أبناء عقيدة المستعمرين أو لديهم رغبة في الموالاة، وتسليمهم الأمر حيث يُسلطون على السكان، وينسحب المستعمرون، يتفرّجون، ويُقهقهون، يسرّهم قتل بعضنا لبعض، وبغي بعضنا على بعض، وربما خرج أحدنا شاكياً باكياً يرجو وساطة العدو، مستعمر

الأمس، وصديق اليوم. ويُكلّف هؤلاء الذين تمّ اختيارهم بتنفيذ مخطّطات الأعداء من السير على سلوكهم خمراً وجنساً، وبُعداً عن العقيدة، وتخلّياً عن الأخلاق، ودعوةً للفساد، ووضعاً لقوانين مخالفةٍ للإسلام، ومُحاربةً للإسلام، كلّ ذلك بشكل ضمني أو ظاهر، وعمل سري أو مكشوف، وتصرّفٍ هادىء أو مفضوح، حسبما تقتضي الظروف، وبذا يتسلط مسلمون على مسلمين.

ويجد هؤلاء المستعمرون ضالّتهم في عناصر كثيرةٍ، منهم أصحاب الأطماع والشهوات، وأهل المصالح والرغبات، ومنهم الذين أصابتهم الهزيمة الفكرية فأصبحوا لا يرون إلّا الحياة المادية النصرانية، وتطبيق المناهج العلمانية، ومنهم أولئك الذين يضعون أيديهم عليها أثناء المنافسات. فالصراعات الحزبية الدائمة التي تُزكي نارها دائماً الدول الكبرى ذات الشأن، والخلافات التي تُثيرها الأطماع، والأحقاد التي تُحرّكها العصبيات، كلّ ذلك يُشجّع من الخارج كي يمكن الصيد، واختيار الفريسة من بين العديد الأكثر دسماً، والأكثر إمكاناتٍ لتطبيق وتنفيذ المخطّطات الأجنبية، وإجادة تمثيل الأدوار في اللعبة الدولية.

إن تسلّط بعض المسلمين على بعض لأكثر جدوى بالنسبة

إلى الأعداء، لأنه يُبقي التفرقة دائماً، ويتولّد حقدٌ بين الفرقاء، ولا تكون هناك عداوة للخصم الخفي المُتستّر وراء الأحداث، ويُحـرّك بأصابعه الأحجار، أو الدمى التي تظهر على الساحة، وفي الوقت نفسه فإن هذا التسلّط لأشدّ وقعاً على النفس وأكثر مزارةً لأنه يأتي من جارٍ، قريبٍ، مسلمٍ (ولو كان انتماؤه للإسلام اسماً).

ز ـ **محاولة الإبعاد عن العقيدة**: يعمل الأعداء بما لديهم من نفوذٍ في بلاد المسلمين على إبعاد الناس عن عقيدتهم ما أمكنهم إلى ذلك سبيلاً، تارةً عن طريق اللهو واللعب، والغناء والطرب، والـرحـلات والتسلية، وهـذه كلّهـا بداية الـدرب، باسم اللهو البريء، ثم عن طريق الاختلاط، والسفور، والتمثيل، والنشاط المشتـرك المختلط باسم الحـرية والمـدنية، ويلي ذلك وضع القوانين المُخالفة للشريعة باسم مُقتضيات العصر، ثم المُخالفة الصريحة بتعاطي الخمور والمُخدّرات تحت شعار «لم يرد فيه نصٌّ صريحٌ». وأخيراً المـوالاة لأعداء الله، والدعوة إلى تطبيق منـاهج الكفر من رأسماليةٍ، وشيوعيةٍ، واشتراكيةٍ، وكلّ منهجٍ وضعي مهما اختلفت الأسماء والمسميات.

ح - **إفقـار المسلمين**: كانت مُهمّة الغزاة الصليبيين إفقار

المسلمين، كي يُمكنهم إخضاعهم وإجبارهم على الخنوع، فامتلكوا أراضيهم، ووضعوا يدهم على مؤسّساتهم، ونهبوا أملاكهم، وسلبوا أموالهم، ومنعوهم من العطاء، وأبعدوهم عن الوظائف، فقلّ ما في أيدي المسلمين، وانكفؤوا على أنفسهم، إلّا من شذّ، وخان أمته، ووضع نفسه تحت تصرّف الأعداء يُنفّذ لهم ما يُريدون، وكانت هذه رغبةٌ في أفئدة الغزاة الأجانب.

ط ـ الإذلال: واستعمل المستعمرون القسوة ضدَّ المسلمين، واشتدّوا عليهم في الباطل، وقسوا عليهم ظلماً ليُروّضوهم على الخنوع، ويكسروا فيهم العزة التي أورثهم إياها الإسلام، وألقوا زعماءهم في غياهب السجون مُهملين، لا يجودون عليهم إلّا بأقلّ القليل من الطعام مع رداءة، وأقلّ القليل من الماء مع الكدرة، لتُحفظ لهم الحياة، إذ لا يُريدون لهم الموت، فلو أرادوا ذلك لهان الأمر، إنسان وانتهت حياته، ولكن كي يخنع الآخرون، ويخضع الذين يسمعون، ويذلّ الذي في نفسه مرض، ويضعف الذي يبغي الحياة، و. . . .

وقلّل المتسلّطون الحاجات من الأسواق كي يسعى الناس وراءها من غير طائل، ويمشون في سبيل نوالها من غير أن يحصلوا عليها، فتذلّ نفوسهم لتأمينها، فهي أرزاق عيالهم،

وحاجات أبنائهم. وغدت كلّ حاجةٍ مطلبها صعب من غير ذلّ، ومنالها محال من غير عناء، وتحقيقها بعيد من غير إراقة ماء وجه. فالطلب ذلّ، والظلم قهر، ونقص الحاجة فقر، وهذا ما أصاب المسلمين عندما ابتلاهم الله بالمستعمرين أو بخلفائهم.

ي - الجهل: استولى الغزاة الأعداء على مؤسّسات المسلمين التعليمية فقلّ علمهم، وفرض المعتدون على مدارس الدولة التي أصبحت تحت إشرافهم بحكم مسؤوليتهم الأفكار العلمانية، والآراء النصرانية، فنفر منها السكان لمخالفتها عقيدتهم، ولكراهية الذين فرضوها، فبقوا دون علمٍ، وعدم المعرفة ذلّ، وعدم العلم بُعد عن الحضارة، وانزواء عن الحياة الاجتماعية، وتقوقع على الذات.

ونتيجة هذه الوسائل التي سار عليها الأعداء في مرحلة سيطرتهم على الأمصار الإسلامية، وبعد تلك المرحلة، إذ بقي لهم نفوذ واسع في المجتمعات الإسلامية نتيجة ما عملوا له، وبسبب ما رسموا للذين أحلّوهم مكانهم يُطبّقون سياستهم، ويُنفّذون مخطّطاتهم، ونتيجة ذلك فقد غدا بين المسلمين العميل المرتبط، والمفتون بمناهج الأعداء، والمُنادي بتطبيق الأنظمة الوضعية المُخالفة للعقيدة الإسلامية، والبسيط الذي

يُمكن خداعه، والملتزم المغفّل الذي يُمكن احتواؤه، إضافةً إلى العامة الذين يكدّون وراء حياتهم المادية لتأمين أرزاق عيالهم.

إن معرفة هذه الجوانب أساسية لاتخاذ الوسائل المضادّة لها، فإن الطبيب لا يصف العلاج قبل أن يُشخّص المرض، والمسلم الصادق يجب أن يعرف بلاء أمته ليسير في الدرب التي تُنقذها ممّا تُعاني منه. وتتمةً لمعرفة المرض يجب أن ننظر إلى البلاء الذاتي الذي أصيب به المسلمون، إلى جانب ما فُرض عليهم من بلاء، أو بتعبيرٍ آخر مرض الجسم داخلياً، ومرض البيئة الذي يُؤثّر على الجسم، ويُضعفه.

تبعة المسلمين

جرت العادة أن الإنسان عندما تُصيبه مُصيبة فإنه يُحمّل تبعتها على غيره، ويعزو سببها إلى آخرين، وينسى ما قام به من أعمالٍ، وما سار عليه من تصرّفٍ أوقع به هذه المصيبة، وكذا الشعوب والحكومات فإنها تُلقي باللوم على غيرها فيما ينتابها من مشكلاتٍ، وما يعتريها من نكباتٍ، وتتجاهل تقصيرها في مُهمّاتها، ودورها فيما أودى بها إلى ما هي عليه.

ونحن المسلمين أصبحنا في عصرٍ نحمّل غيرنا تقصيرنا، وننعت كلّ ما يحلّ بنا من محنٍ إلى المستعمرين الذين كان لهم في يوم من الأيام دور كبير فيما أصابنا حتى وصلنا إلى مرحلةٍ كنّا فيها نُلقي عليهم اللوم فيما يحدث بين الزوجين من خلاف، وننسى أو نتناسى تقصيرنا وإهمالنا لدورنا في هذه الحياة، وإخلادنا إلى الأرض، حتى جاءنا الغزو من الخارج، واستباح بلادنا، فوضعنا عليه مسؤوليتنا ومسؤوليته، وإذا كنّا قد ألمحنا إلى مسؤوليته فيما مضى فمن العدل والحقّ أن نلمح إلى ما فعلناه

بأنفسنا في إهمالنا وتقصيرنا.

أ ـ العمل:

دور الفتوحات الإسلامية الكبرى التي حدثت أيام الراشدين والأمويين أخذت الأموال تتدفّق إلى بلاد المسلمين من كلّ جهةٍ، وأصبحت عطاياهم كبيرةً، وغدا عندهم من العبيد والخدم الشيء الكثير، وصار لهم من السبايا والجواري العدد الوفير، فأخلدوا إلى الدنيا يغبّون منها ما شاءت لهم أهواؤهم أن يغبّوا، وتركوا إعمار الأرض إلى الذين تحت أيديهم، واكتفوا بذلك، وظنّوا أن هذا يُغنيهم، ويكفيهم عمّا يحتاجون إليه، ونسوا أن كلّ فردٍ إنما هو ملك للأمّة، وليس ملك نفسه، وأنه يعمل لأمّته لا لنفسه، وأن ما يملك لا يكفي أمّته، وإنما كان يكفي شخصه، لذا فالعمل واجب عليه، ولو كان لديه مال قارون، وأن إعمار الأرض بحاجةٍ إلى عمل الجميع، ولو تضافرت جهود البشر كلّهم لمّا سدّت ما يحتاج إليه ذلك الإعمار، لذا فعلى المسلم العمل الدائم، ولو كان أغنى أهل الدنيا، وأن الدولة مسؤولة عن مُراقبته ومُتابعته للعمل. وكما ترك الرجال أعمالهم للمماليك فقد تركت النساء شؤون البيت وما يترتّب عليه من تبعات إلى الإماء والخدم.

لقد كان ترك العمل، وإلقاء تبعته على المماليك والخدم أول الوهن، وبداية البعد عن منهج الله في إعمار الأرض واستثمار خيراتها.

ب ـ الترف:

إن الأموال التي جاءت إلى آبائهم من الفتوحات، والتي آلت إليهم بالإرث، والتي نمت بعمل المماليك، أو لم تنقص بالإنفاق نتيجة تلك التنمية، فقد أخذ الأحفاد يبذخون، ويُسرفون في البذخ، ويُنفقون ويُغالون في الترف بإشادة القصور، وزراعة الجنان المعروشات للنزهة لا للاستثمار وإعمار الأرض، فترهّلت أجسامهم، وطابت لهم الدنيا، فغرفوا من نعيمها، واستنشقوا من عبيرها، وصفت لهم الأجواء، وأخلدوا إلى الأرض، وظنّوا أنهم ملكوها، ولكنهم في الوقت نفسه أصبحوا غير قادرين للدفاع عنها، ويُمكن أن يأتي إليهم في كلّ لحظةٍ من يُزيحهم عنها، ويُزيل ملكيتهم لها، جزاءً بما فعلوا من تقصير، وعقوبةً لنسيانهم الدار الآخرة، والعمل لها إذ ألهاهم النعيم، وشغلتهم المتعة، ونسوا أن ذلك يزول بالنقمة، وتسليط آخرين عليهم لإزالتها. لقد كان الترف، والتمسّك بالدنيا، وكراهية الموت ثاني بوادر الوهن، ومن طرق البعد عن منهج الله، فالإسراف والتبذير، والترف أمور منهي عنها.

جـ ـ الشهوات:

إن إعـطاء النفس هواهـا أمر مذموم، وعاقبته وخيمة، وقد أعـطى الناس نفوسهم أهواءها، فقادتهم إلى التهلكة، وسارت بهم إلى الهـاوية، ولم يعودوا بقادرين على ثنيها، ولا بردعها، فمشوا وراءها، وهي لم تعد قادرةً على الدفاع عنهم بعد أن ذاقت اللذة واسترخت، وشعرت بالنعيم وأخلدت.

نالت شهوة البطن بالطعام والشراب، فالمال وفير، وحصلت على شهوة الفرج، فالجواري والسبايا والنساء كثيرات، وحصلت على السمعة والذكر بما قالت من شعرٍ، وما أشادت، وقد أغريت بالثناء، وبالقول إن هذه حضارة.

د ـ عدم الاستعداد:

كانت أمم الأرض الأخـرى من غير المسلمين ضعيفـةً، وكـانت الفكـرة عندها عن المسلمين أنهم أمة قوية، لا يُمكن مغالبتها، ولم تكن لديها قدرة على منازلتها، لذلك فقد سكنت وهـدأت، بل تخشى أن يُداهمهـا المسلمون، ولا تعرف كيف تتصرّف فيما لو حدث هذا. وما دام المسلمون قد أخلدوا إلى الأرض، ولم يشعـروا أن أحـداً يُهيّجهم، ولم يُفكّـر أحـدٌ أن

يستفزّهم، لذا فلم يستعدّوا للقتال، ولم يحسبوا حساباً لطارىء يطرأ عليهم، أو لطارق يغزوا ديارهم، وقد استمرؤوا الحياة وركنوا إليها.

وفي الوقت الذي أخذت فيه قوّة المسلمين بالتراجع والتأخّر كانت بقية الأمم تسعى للقوّة، وتأخذ بأسبابها، تتوقّع أن يطرق بابها غزاة، إذ أن الحياة البدائية من صفاتها الكرّ والفرّ، وحياة أبنائها تقوم على الغزو، والحصول على السلب والنهب، وربّما توقّعت أن يصل إليها المسلمون فاتحين دعاةً، إذ أن أخبارهم استمـرّت تمـلأ الأرض عدّة قرون، ولم تعلم تلك الأمم أن المسلمين قد توقّفت فتـوحـاتهم، وأخلدوا إلى الأرض، وإنما ظنّت أنهم يعيشون مرحلة هدوء يُنظّمون فيها ديارهم، ويُوحّدون جهودهم، ويضمّون صفوفهم، ثم ينطلقون انطلاقةً أخرى، لذا فقد قويت تلك الأمم ولو نسبياً، وتحسّنت أوضاعها ولو جزئياً، فمن أخذ بأسباب الحياة نالها، ومن اتخذ وسائل القوة حصل عليها.

هـ - التخلّي عن المهمة:

إن للأمة الإسلامية مهمّة أساسية في الحياة، وهي الدعوة ونشـر الإسـلام، والـوسيلة الرئيسية لها الجهاد في سبيل الله،

ومُقارعة الطغاة باستمرار لردعهم عن غيّهم، حتى يُجتثّ الظلم من فوق سطح الأرض، وتصبح الدنيا كلّها مسرح الإسلام.

فلّما أخلد المسلمون إلى الأرض، وانصرفوا إليها يُشبعون نهمهم منها، فإنهم قد تركوا الجهاد، وأهملوا الاستعداد للقتال، فتوقّفت الدعوة بشكل طبيعي عن طريق هذه الوسيلة الرئيسية، وبذا فقد تخلّى المسلمون عن مُهمّتهم في الحياة.

هذا التخلي قد أفقدهم وسيلة القوّة وهي الجهاد، وأبعدهم عن فكرة القتال، ورغّبهم في الركون إلى الأرض، وحبّب إليهم الحياة، وكرّه إليهم الموت، وأمات فيهم الروح المعنوية، وهوّنهم في عيون أعدائهم، وضخّم قوّة خصومهم في عيونهم.

و ـ الفقر:

ومع مرور الأيام، وعتق العبيد، وتحرّر أمهات الأولاد، وتقليد الفقراء للمترفين، وتعالي الضعفاء قلّ الإنتاج، وأهملت الأرض، وتعطّلت الصناعات، وتأخّرت التجارة، وضعُف الدخل، وانقطع سبيل القادمين للعمل، وتوقّف قدوم الساعين وراء الرزق، ولم تتعوّد أجسام رجال الأمس على العمل اليوم...، فافتقر الناس، وبالتالي افتقرت الأمة، وأصبحت

تسعى لسدّ العجز وتأمين الحاجة فلم تجد بدّاً من فرض الضرائب، غير أن الناس عاجزون عن الدفع، غير قادرين على تأمين أنفسهم وإعطاء ما عليهم. . . ، فحدث تخبّط في السياسة العامة.

ز ـ الفوضى:

عندما لا يستطيع المرء أن يُؤمّن حاجاته، ويزداد الطلب عليه من الأهل، ويبدأ الضغط، يظهر الأثر النفسي، فمن عصم الله صبر، ومن كان في نفسه مرض انفلت من كلّ قيدٍ، وأخذ يعيث في الأرض فساداً. وتحرّك فردٍ يُثير كوامن الآخرين، منهم من يأخذ الرشوة، ومنهم من يسرق، أو يتخذ مهنةً غير شريفةٍ، أو فيها من الحُرمة ما فيها من أنواع مُنوّعة. . . ، وقد تصل الأمور ببعض النفوس الشريرة إلى قطع الطريق، و. . . ، وبذا تنتشر الفوضى.

وهـذه الأمـور كلّهـا مُحـرّمة في الإسلام، والعقوبة عليها معروفة، غير أن التساهل في تطبيق الشرع يزيد من فعلها، بل وأحيانـاً يُشجّع من كان في قلبه خوف على الإقدام، ما دامت النجاة قد وجدت سبيلها إلى آخرين سبقوه.

وإن كان هذا لم يحدث كثيراً في العالم الإسلامي إلّا عندما يبلغ التساهل مبلغاً، أو يصل فيه الضعف إلى مرحلةٍ غير طبيعيةٍ،

وذلك لأن للأحكام الشرعية حرمتها، والخوف من الله قائم في النفوس، ولا يستطيع المرء أن يتمادى في تصرّفاته لما يتوقّعه من عذاب، فإن نجا في الدنيا، واستطاع التفلّت من العقاب بالحيلة والتستّر، وإمكانية النكران، فإن الله يراه، ولا يُمكنه التخفّي. وكذلك فإن للمجتمع المسلم دوره، إذ يتنكّر للعاصي، ويكره المُخالف لحدود الله، ويبغض من يتعدّى، ويمقت من لا يتمسّك بالدين... مهما بلغت به الحاجة، وإن كان يُحمّل المسؤولين التبعة، ويُلقي عليهم اللوم وسوء العاقبة.

وإذا ما حدث هذا دلّ على ضعف الأمة، وسيرها في طريق التردّي، وشجّع أعداءها على التحرّش بها، والعمل على السيطرة عليها.

ح - التواكل:

إن الفقر إذا أصاب المؤمن صبر، غير أنه يستمرّ في اتخاذ الأسباب في العمل وطلب الرزق، ولكنه إن كان يجهل صفات الإيمان ربّما تواكل، وجلس يطلب الرزق متواكلاً، ويظنّ نفسه أنه يتكل على الله، وأنه يتخذ الطريق السليمة، ويسلك الوسيلة الصحيحة. ولم يدر هذا المسكين أن فقره سيزداد بقعوده، وسيبتعد عن طريق الإسلام باتخاذه طريقاً غير إسلاميةٍ، وأنه لا

يتكـل على الله، فلو كان يتـوكّـل على الله حقّ التـوكّل لاتخذ الأسباب، ولكنه متواكل. . . ، ولا تُمطر السماء ذهباً، ولا ينبع من الأرض فضة، ولا تنبت التربة من غير عمل، ولا يُعطي الزرع نتاجاً دون جهدٍ.

وقد استغلّت الصوفية الدخيلة على الإسلام هذا التصرّف، فقوّت هذا الفكر تحت شعار الزهد في الدنيا، وباضت وفرّخت، وكبر الفراخ، وتسلّطوا على أفكار بعض الناس، وصاروا يتكلّمون باسمهم، ويُفكّرون عنهم، ومن لم يتحرّك ينام، ثم يتعطّل حتى يُشلّ عن الحركة. . . ، وبذا فتكت هذه الصوفية بالمجتمع فتكاً ذريعاً، إذ نوّمت الفكر، وامتنع الناس عن العمل باسم الزهد، فقـلّ إعمـار الأرض وإنتـاجها، وتعطّل السعي باسم التواكل، فتراجعت الصناعة والتجارة، وتوقّف الجهاد، فضعُفت الدولة، وقـوي أعـداؤهـا، وتشجّعـوا على غزوهـا. . . ، والمتـواكلون يجلسـون ينتظرون نصر الله ـ حسب زعمهم ـ وهم يعلمون أن نصر الله لا يأتي إلّا لمن ينصر الله بالاستعداد وبذل الجهد **﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾** فالله لا ينصر أحداً إلّا إذا نصره، ونصر الله باتخاذ أسباب النصر من استعدادٍ واندفاعٍ ومواجهةٍ.

ط ـ السعي وراء المادة:

في الوقت الذي ينتشر فيه الفقر، ويظهر التواكل عند فئةٍ،

والصبر والعمل عند فئةٍ ثانيةٍ، ترى جماعةً أخرى قد انصرفت وراء المادة انصرافاً غريباً، يُهمّها الظهور بالمال وقد افتقر الناس، والترف في وقتٍ قلّ فيه الشبع، والبطر في زمنٍ ساد فيه الشحّ، وزادت الحاجة، وانتشرت الفاقة.

أخذت هذه الفئة تسعى وراء المادة، لا تُبالي بأيّ طريق تحصل عليها، سواء أجاءت بالحلال، أم بالحرام، بطريقٍ مشروعةٍ، أم غير مشروعةٍ، المهمّ عندها الحصول على المال.

ي ـ البعد عن العقيدة:

إن الترف، والتواكل، والفقر، والسعي وراء الشهوات، ووراء المادة، وعدم الاستعداد، كلّها أمور فيها بعد عن الإسلام، وقد انتشرت في المجتمع الإسلامي نتيجة الجهل الذي هو بالتالي بُعدٌ عن جوهر الدين. والعقيدة منبع العمل والاستعداد، والعلم والقوّة.

وإن البعد عن العقيدة قد أورث الكسل والخمول، وعدم طلب العلم، والإخلاد إلى الأرض، وترك الجهاد...، فأورث ذلك الضعف للأمّة، وشجّع أعداءها لغزوها، إذ غدت لا تستطيع دفع الأذى، ولا ردّ العدوّ، اللّهمّ إلّا إذا استثنينا جماعةً

تمكّنت من المُحافظة على وضعها الصحيح، رغم كلّ ما يُحيط بها، لكنها فئة قليلة لا تستطيع التأثير على البيئة كلّها، رغم أنها كانت تبذل جهدها، وتسعى بإمكاناتها.

ك ـ التقليد:

غدا التقليد ظاهرةً في المجتمع الإسلامي ـ مع الأسف ـ نتيجة ضعف المسلمين، وقوّة أعدائهم، وضخامة الدعاية لهم، ولكن هذا فقط عند الأتباع والذين أصيبوا بهزيمةٍ نفسيةٍ، ويدعو المقلّدون إلى السير على نهج الدول الكبرى في كلّ شيءٍ.

ل ـ الاستعمار:

لمّا رأى الأعداء الصليبيون ما حلّ بالأمّة المسلمة انطلقوا نحو ديارها يدفعهم الحقد، ويُغريهم الطمع، وظنّوا أنهم قادرون على تحقيق مبتغاهم بسرعةٍ، فاندفعوا مُسرعين، فلقوا هزائم مُنكرةً من البقية الباقية من قوّة المسلمين وحسن إيمانهم، لقد هُزم الصليبيون على كلّ جبهةٍ فتحوها، وكانت هزيمتهم تتناسب مع قوّة اندفاعهم، وكلّما كان اندفاعهم قوياً كانت هزيمتهم أشدّ. لقد هُزموا في ملازكرت عام ٤٦٣هـ على يد ألب أرسلان، وهُزموا في الأندلس في معركة الزلاقة عام ٤٧٩هـ على يد

يوسف بن تاشفين. . . ، غير أنهم لم ييأسوا، إذ يرون ضعف المسلمين رأي العين. . . ، فتابعوا الانتقال في الهجوم من جهةٍ إلى جهةٍ، وفتح جبهةٍ بعد جبهةٍ. . . ، والمسلمون لم يصحوا من غفلتهم رغم الضربات التي تتوالى عليهم، ولم ينتبهوا إلى ما سيحلّ بهم. . . ، وفي النهاية استطاع الصليبيون إحراز النصر، وطرد المسلمين من الأندلس عام ٨٩٩هـ. . . ، وتتابع بعدها التفوّق الصليبي والتقهقر الإسلامي، وبرز الاستعمار بأطماعه المادية الظاهرة، ويُخفي تحتها أحقاده الصليبية التي تبرز كلّما أزاحت الريح شيئاً من الغطاء الشفّاف. وتدّعي الدول الكبرى حتى الآن أنها علمانية، والواقع أنها صليبية في كلّ تصرّفاتها وتخطيطها. أضاف الاستعمار إلى مصائب المسلمين بلاءً رهيباً فزاد ضعفهم ضعفاً، وبلاءهم بلاءً، وأتعابهم تعباً، حتى وصلوا إلى مرحلةٍ بئيسةٍ، ثم بدأت تستنير بعض القلوب، وتصحو بعض العقول، وتتفتّح بعض العيون، فكان شغل الدول الكبرى طمس ما استجدّ فكراً، أو احتواءً، أو إبادةً، وهكذا كان المجتمع الإسلامي بعد مرحلة الاستعمار، والدخول في مرحلة الاستقلال الرسمي.

عمل الاستعمار خلال تسلّطه على ديار المسلمين أو بعد جلائه عنها مع بقاء نفوذه السياسي، وسيطرة أفكاره على إبعاد

الناس عن الإسلام بنشر الفساد، وإثارة الشهوات، وإغراء الشباب، وبثّ الآراء الخاطئة، والمفاهيم الغريبة، والأفكار الباطلة، وتسخير كلّ إمكاناته وما يملك من وسائل إعلامٍ في الداخل والخارج لهذا، ونتيجة ذلك أصبح المجتمع الإسلامي يتألّف من:

١ ـ جماعة فُتنت بأفكار المستعمرين، وآرائهم، وسلوكهم، ولما كان الإسلام منهج حياة فقد غدت حياة هؤلاء بعيدةً كل البعد عن الإسلام، وأصبح لها منطق خاص: سفور واختلاط، وخمرة وقمار، وإقبال على الحياة الدنيا دون النظر إلى حلالٍ أو حرامٍ.

ومع هذا الوضع الذي آلت إليه هذه الجماعة فإن فئةً منها بقيت تفخر بانتمائها للإسلام، سواء أكانت تقوم ببعض شعائره أم لا تقوم، وقد اتخذت لنفسها دعوةً أو تطبيقاً لمناهج وضعيةٍ تتناقض مع الإسلام كلياً، ومع هذا فإن بعضها لايعترف بأنه أصبح في خطٍّ يُعادي الإسلام، إذ يظنّ ـ وكلّ ظنّه خاطىء ـ أن الإسلام شيء والمناهج الاقتصادية، أو السياسية، أو الاجتماعية شيء آخر، لذلك فهو مسلم وإن كان رأسمالياً، أو شيوعياً، أو اشتراكياً، أوماسونياً، أوعلمانياً. . . ، ويبدو أن هؤلاء لا يفهمون

الإسلام، ولا يعرفون شيئاً عنه، وإنما يقبلونه عاطفةً أو عصبيةً، وكلّ ما يعتقدونه أنه ليس سوى بعض المناسك أو الشعائر تُؤدّى، ويعترفون بتقصيرهم في هذا الجانب، وربّما يُمكن تصحيح بعض المفاهيم عند هؤلاء وإعادتهم إلى عقيدتهم بعد تعبٍ وجهدٍ.

ولكن يجب ألّا ننسى أن بعضهم يُظهر ميلاً للإسلام، أو يُبدي عاطفة أو فخراً، وهو غير صادقٍ، وإنما يفعل هذا نتيجة وجوده في وسطٍ إسلاميٍّ، لعلّه يستطيع أن يجرّ الناس إليه، لذا فهو لا يُبدي كُرهاً لعقيدة الشعب، وهذا النوع خطير ماكر يُمكنه إفساد عقول المُغفّلين. ومن هؤلاء أيضاً فئة تنكّرت للإسلام صراحة، وتجد أن الوسيلة الوحيدة لإنقاذ الأمّة إنما هي إبعادها عن عقيدتها، وسيرها وراء المنهج العلمي دون النظر إلى أيّ شيءٍ آخر مهما كان مصدره، والأخلاق والقيم المثلى إنما هي بالإنتاج، والعلم، ولا شيء ممّا يُسمّى فضيلة أو. . .، والدين ليس سوى خرافة تستفيد منه طبقة مُعيّنة.

وهؤلاء وإن كانوا لا يُشكّلون نسبةً كبيرةً من المجتمع إلّا أن بيدهم كلّ شيءٍ، فهم الذين ربّاهم المستعمرون، وتعهّدوهم، وتركوهم أمناء على مُخطّطاتهم، أوصياء على أعوانهم، يُطبّقون

ما تعلّموا منهم، ويُنفّذون ما يُؤمرون به في المستقبل. ولذا فلهم الصولة، والجولة، والدولة، مالاً، ونفوذاً وسلطةً.

والدول الكبرى تأخذ منهم للمنصب الرفيع من تراه مناسباً في وقت الأزمات والشدّة ترفع الأكثر انحرافاً، ووقت اللين والرخاء تُعلي شأن المعتدل لتُنادي بما تُسمّيه الديمقراطية، وتجعل منهم أحزاباً تتنافس فيما بينها، ويدّعي كلٌّ منها ما يرتضيه لنفسه دون أن تكون لهذه الدعوى أي مضمون، وربّما ينظر العامة، فيرون أن بعضها لا ارتباط له ما دام يُنافس ما أشيع عنه أنه مرتبط، حيث لا تستطيع أن تُفسّر التنافس القائم بينها أنه مُصطنع تعمل له الدول الكبرى لتختار ما يُناسب المرحلة التي تمرّ بها البلاد. ويُمكن أن نُطلق على هذه المجموعة اسم **الأتباع** أي أتباع الأعداء الذين ربّوهم، وتعهّدوهم، وسلّموهم مكانهم.

ويُمكن للأتباع أن يحملوا ظاهراً، أو يتظاهروا بالصفة الغالبة على الإقليم، إذ قد تغلب فكرة العصبية، أو العقيدة، أو الإقليمية (الوطنية)، فهم يرفعون هذا الشعار، ويُعلنون الدعوة له، دون أن يكون له أيّ نصيبٍ من الواقع.

٢ ـ جماعة لا تُبالي بما يدور، إمّا لجهلها، حيث لا يشغلها شاغل إذ لا تستطيع أن تُحلّل الأحداث، أو تُعلّل المشكلات،

أو تُتابع ما يجري على الساحة الدولية، وحتى في الميدان الداخلي، وإمّا لفقرها، فهي دائماً منصرفة وراء لقمة عيشها تتخذ أسباب الرزق، وتسعى وراء معاشها، ليس لديها من الوقت ما تفكّر فيه، وإمّا لطرحها هذا الموضوع من الأساس مُدّعيةً أن الأمر مُرتّب، وهو بيد الله، فهي متواكلة بعيدة عن المفهوم الإسلامي، وإمّا قد سئمت وملّت ما يحدث، فأصابها اليأس، وفي هذا بُعد أيضاً عن المفهوم الإسلامي.

ويُمكن أن نُطلق على هذه الجماعة اسم **العامة**، إذ أنها تُشكّل أكثر المجتمع، ولا تُبالي بالأحداث. وهذه الجماعة هي موضع الصراع، تتنافس عليها كلّ الفئات لتكسب عناصر جديدةً منها، ويذهب منها أفراد، كلٌّ حسب هواه، فمن كان صاحب مصلحةٍ تبع الذين يستطيعون تأمينها له، فكان من الأتباع، ومن غلب عليه دينه، وشعر بالأمل، والتفاؤل تبع الطلائع، ومن تغلّب عليه شيطانه سار في طريق الانحراف والغواية مع أكثر الأتباع شططاً، ومن استمرّ في تواكله قعد مع القاعدين.

وفي الوقت نفسه فإن آخرين من الفئات الثانية يقعون في اليأس، أو يصلون إلى مرحلةٍ من التعب، فينضمّون إلى هؤلاء العامة.

٣ ـ جماعة استعلت بإيمانها، فلم تقع في حبائل المستعمرين، ولم تُفتن بحضارتهم المادية، ولم تُغرها قوّتهم، وما وصلوا إليه، ولم يفت في عضدها ضعف المسلمين، وما وصلوا إليه من الهوان والذلّ، ولكنها وقفت في وجه المستعمرين، تردّ على أفكارهم، وتُبيّن عُوارها، تُوضّح أهدافهم، وتُظهر أطماعهم، وما ترمي إليه وسائلهم الخبيثة ومُخطّطاتهم الماكرة. وكما وقفت في وجه المستعمرين وقفت في وجه خلفائهم، وأبانت ارتباطهم، وسيرهم على خُطا سابقيهم، وتلقّي التوجيه منهم، وعُوار السياسة المُتبعة، ومُخالفتها لآراء الشعب، وعقيدة الأمّة، ويُمكن أن نُطلق على هذه الجماعة اسم **الطلائع**، لأنها طليعة الصحوة الإسلامية المُرتقبة ـ إن شاء الله ـ.

كانت هذه الجماعة هدف الأعداء في الداخل والخارج، أو المستعمرين، وخلفائهم، وجماعة الأتباع، وإن أكثر مُخطّطات الدول الكبرى تستهدفها بالدرجة الأولى، وربّما أصبحت شغلهم الشاغل، لقاءات العملاقين تتناول هذه الجماعة، مُؤتمرات القمم تبحث شؤونهم، وتُبدي قلقها من نمو هذه الجماعة، وسائل الإعلام الداخلية المُرتبطة بالأتباع، أو المُوجّهة من الدول الكبرى، أو المُكلّفة منها، تنفث سمومها باستمرار، وتُحرّض على هذه الجماعة، وتُحذّر منها بأساليب ماكرةٍ، بل إن كثيراً من

الذين لا يعرفون من الإسلام إلّا الانتماء إليه يتنطحون للبحث فيه، ويُناقشون أموراً فقهيةً، ويُعارضون رأي العلماء، ويردّونها، وهم أجهل الناس، غير أنهم يُناقشون الأمور حسب هواهم وهوى ساداتهم، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم.

ولمّا كانت إغراءات الدول الكبرى والأتباع مستمرّة، ومُخطّطات الأعداء دائمة الاحتواء أو التشكيك، ونفث السموم بين هذه الطلائع، فقد تنجح في بعض مراحلها، أو في صيد بعض من تضعُف عزائمهم أحياناً، أو ينقص إيمانهم، واحتواء بعض الفئات أو الرجال، وتكون الهزّات في مجتمع هذه الجماعة.

وربّما يكون أسلوب القتل والتشريد، والإبادة والمُلاحقة، وبثّ الشائعات، ونشر الدعايات ضدّ الطلائع هو الأسلوب المتبع على الدوام من قبل الأعداء وبموافقة الدول الكبرى، ولهذا تكون إمكاناتهم ضعيفةً، وصفوفهم مفرّقة، ولا يستطيعون التأثير على السياسة العامة لأمصارهم، والتي هي بيد الأتباع، ومن هنا نستطيع أن نتصوّر قضايا المسلمين الداخلية، وقضايا الأمّة، والتطوّرات السياسية العالمية.

قَضَايا المسلمين الداخلية

في كلّ مصرٍ من أمصار العالم الإسلامي قضايا داخلية تتعلّق بأوضاع المسلمين، ويُمكن أن نُوجزها باختصارٍ في الشؤون الآتية:

أ ـ القوانين وموافقتها للشريعة الإسلامية. فالإسلام منهج حياة يشمل كافة جوانب الحياة من اجتماعيةٍ وسياسيةٍ واقتصاديةٍ. ولمّا كانت عقيدة مُعظم سكّان المصر هي الإسلام لذا لا بدّ من أن يكون هناك انسجام ما بين عقيدة السكان والحياة التي يحيونها والقوانين التي تُطبّق عليهم، غير أننا نجد عكس ذلك تماماً إذ أن هناك تنافراً وبُعداً، وذلك لأن الأمر بيد الأتباع، والمسلمون الملتزمون بعقيدتهم والذين يُمثّلون غالبية السكان لا يملكون من الأمر شيئاً، إنهم يطالبون ولكن دون جدوى، وكثيراً ما تُؤدّي المطالبة إلى نكبةٍ تُصيب المطالبين.

ب ـ مناهج التعليم: يجب أن تكون تربية النشء، وما يتلقّونه من تعليم يتفق مع ما يعتقدون به، ويُؤمنون أنه الحقّ،

ويُمارسونه ويعيشونه في حياتهم الاجتماعية، إلّا أننا نجد عكس ذلك، إذ تُطرح عليهم النظريات الاقتصادية غير الإسلامية، والمبادىء السياسية الغربية، والأفكار الاجتماعية البعيدة كل البعد عن واقعنا الذي نعيش فيه، الأمر الذي يُؤدّي إلى ضياع الجيل، وعدم معرفتهم السبيل المستقيم، وهذا ما يجعلهم يتّجهون بأفكارهم إلى خارج ديارهم، وترنو أعينهم شرقاً وغرباً، ويحيون حياة التيه والتعب المستمر، وتنشأ المشكلات داخل المجتمع.

جـ - المشكلات الاجتماعية: إن كثيراً من العادات الاجتماعية قد تفشّت في البيئة الإسلامية عندما كان المستعمرون يُسيطرون على الأمصار الإسلامية مباشرة وبأنفسهم حتى لا تحول عقيدتهم دونها، واعتادوا عليها حتى غدت جزءاً من حياتهم، بل ومن كيانهم. فالسفور، والاختلاط، والخمرة، والخنا، والزنى، و. . .، وقلّدهم بعض أصحاب الأهواء والشهوات، بل وأهل المصالح ليحصلوا على بعض المنافع، وينالوا الحظوة ما داموا قريبين بأفكارهم وعاداتهم من المتنفّذين الفعليين. . . .

لكن المسلمين يتعلّمون في دروس التربية الإسلامية في

المدارس، ويسمعون الخطب والمواعظ في المساجد، ويعرفون في حياتهم الاجتماعية، ويُمارسون داخل بيوتهم ما يُغاير هذا ويُخالفه، فما هو موقف الشباب في مقتبل العمر الذي يرى في سادات مصره ما يُخالف ما يعتقد به؟ وهنا يحدث الانفصام بين الراعي والرعية، وتشتدّ المطالبة بتحقيق ما يُؤمن به. وليس على صاحب القوّة إلاّ محاولة القمع والبطش والظلم كنوع من فرض السيطرة وتحقيق السيادة، ويكون البغي والطغيان، وبالمقابل فلن يكون من الطرف الآخر إلاّ التمسّك بما يؤمن، ولما كان ما يعتقده هو ما يُؤمن به غالبية الشعب لذا تكون دعوته إليهم بحماسةٍ وحرارةٍ، إذ يظنّ أنه يملك القوّة الفكرية ما دامت الأكثرية بجانبه. ويُطلق الطغاة على الشباب: المتطرّف، والأصولي، والرجعي، و. . . . وينعت الشباب الطرف الآخر بالظلم، والكفر، والخروج على عقيدة الأمة. . .، ويربح ظاهراً الذي بيده وسائل الإعلام التي تُكيل التهم، وتبثّ الشائعات المضلّلة، وربّما وقعت صدامات، وينتصر الذي بيده القوّة، وتكون النتائج وخيمة: تتفكّك عُرا الأمة، ويقلّ الإنتاج، لأن المكبوت لا يُنتج، والمزدهي بالنصر لا يُهمّه العمل فهو يزهو، يعدّ قواه لمواجهة الداخل، ويسعى لتنطلق وسائل الإعلام تتحدّث باسمه، وتنقل أخبار نصره، وهزائم خصمه. . . ويُسرّ

العـدو الخارجي، وتظهر علامات الفرح على ابتسامات الدول الكبـرى. . .، فالأمـة أصبحت مفكّكـة، بأسهـا بينهـا، قوّتها وجيشهـا لقمـع أبنـائهـا، لا شيء للعدو المتربص في الخارج والمستولي على بعض الأجزاء، والفقر مستشرٍ، والحاجة مُلحّة للطلب بالخنوع، وتحقيق ما يُريده الذي بيده تأمين الحاجة، ولا إمكـانية للمقاومة، والذلّ استحكم في النفوس، ولا قدرة على القتـال، بل لاسبيل للوقوف في وجه أمةٍ أخرى. . .، وهذا ما تُريده الصليبية واليهـودية. فالمشكـلات الداخلية سببها الأتباع بتوجيهٍ من السادة، والأزمة فيها من الأتباع، وحلّها بيد الأتباع، وهم أتباع للأعداء، فالحلّ بيد الأعداء.

وربّما بعض هذه القضايا تُصبح دوليةً، رغم أنها داخلية، وتُعـدّ دولية لأن حلّهـا بيد الـدول الكبـرى التي تُمسك بخيوط الحلّ، وتتصرّف كيف تشاء، ويُمكن أن نُعطي مثلاً واحداً على هذا النوع، قضية لبنان تبدو أنها صراعات بين الفئات اللبنانية، أو صراع بين العقائد المتعدّدة المنتشرة فيها، النصارى الموارنة، الشيعة الرافضة، الدروز، ويُشاع أن بعض الدول العربية تتدخّل إلى جانب فئةٍ دون ثانيةٍ، وبعضها الآخر تدعم طرفاً ضدّ الطرف القوي، وتتنقّل بالدعم بين جماعةٍ وثانيةٍ، لتبقى النار مشتعلةً،

وبعض الدول الإسلامية تساعد مجموعة لمصلحتها و. . . .
ويلاحظ:

١ ـ أن الحلّ ليس بيد اللبنانيين رغم أن القضية في بلدهم، وبين فئاتهم.

٢ ـ أن الحلّ ليس بيد البلدان العربية رغم أن لبنان بلد عربي، وأن بعض الدول العربية، طرف، أو مُتورّط، أو يظهر أنه مسؤول، أو بيده جزء من الحلّ.

٣ ـ أن التخطيط ينصبّ كلّه ضدّ المسلمين، فلكلّ فئةٍ جهة تدعمها، ولا نصير للمسلمين، والضربات تُكال لهم، ولا مؤيّد لهم على الساحة، وأصاب التشريد القسم الكبير منهم.

٤ ـ أن الحلّ ليس بيد الدول الإسلامية، ولبنان جزء منها، أو بالأحرى فالدول العربية ليست سوى جزءٍ من الدول الإسلامية.

ولو التقت الدول الإسلامية جميعها لا يُمكنها أن تُنهي مشكلة لبنان دون موافقة الدول الكبرى، الولايات المتحدة الأمريكية، فرنسا، إنكلترا، . . . ، روسيا. فما علاقة هذه الدول في لبنان، والقضية فيه: داخلية، عربية، إسلامية؟! الحقيقة أن

العلاقة مع الأتباع .

هل الدول الكبرى تتدخّل في لبنان وترتبط قضيته بها بسبب الأقلية النصرانية التي تعيش فيه، وتضع مصيرها مع الدول النصرانية الكبرى، وترتبط بها، وتعدّ نفسها تتمة لها نتيجة العقيدة؟ هذا جزء من الواقع، ولكن الدول الكبرى لها مُخطّطات تُريد أن تُنفّذها، وتتخذ الأتباع وسيلةً لها، فالأتباع هم الذين يُحرّكون، ويتحرّكون حسب التوجيهات، ولا يتوقّفون إلّا بأوامر تصدر من ساداتهم، فالحلّ إذن بيد الدول الكبرى. والأتباع هم من لبنان ومن غيرها من الدول العربية والإسلامية.

إذن ما هي القضايا الداخلية أو المشكلات التي يتداولها الناس في عالمنا الإسلامي ما دام أنه لا يُمكنه أن يتدخّل في قضاياه الخاصة؟. إن المشكلات التي تكون حديث المجتمع هي حوادث تافهة يُثيرها الأتباع، وتتناولها وسائل الإعلام، وليس للناس من حديثٍ سواها لأنها هي المطروحة، تُطرح لتشغل الشعب في توافه الأمور، وتُنسيهم قضاياهم المصيرية، وتُبعدهم عمّا يدور في الدوائر الرسمية من إساءات، وما يحدث من مخالفاتٍ شرعيةٍ، وما يُرتكب في حقّ الأمة من خياناتٍ، وإذا أراد المرء أن ينظر إلى تطلّعات أمةٍ ما، وفي أيّ دربٍ تسير، فما عليه

إلّا أن ينظر إلى وسائل إعلامها ليرى من يُقدّم ليكون قدوة النشء في الشخصيات التي تُركّز وسائل الإعلام عليها، وتُبرزها لتكون المثل الأعلى لجيل المستقبل. إن النظرة الأولى في وسائل إعلامنا تُعطي وتُبيّن أن الاهتمام ينصبّ بالدرجة الأولى على نقطتين رئيستين:

١ ـ الفنانات العاهرات: هذه تزوّجت، وتلك طلّقت، وفلانة أنجبت، وفلانة عزمت على الاشتراك في تمثيل كذا و. . .، وعلّانة أحبّت للمرة الثانية، وكانت معلّقةً بـ، وانتقلت إلى . . .، ومعها كلبها، واعتاد كلبها على . . . (صار كلبها علماً. . .).

ومع هذه الفنانات أمثالهن من الرجال أبطال المسلسلات. . .، والذين يتممون تلك النسوة ليتكامل مجتمعهم الذي يعيشون فيه.

هؤلاء من الرجال الذين سيكونون قدوة النشء، وهذه النسوة سيكنّ أسوة فتيات المستقبل. فهل سينصرف الجيل القادم إلى الجهاد والقتال، إلى التحرير والفداء، أم سينصرف إلى الميوعة والتخنّث؟ هل سينصرف إلى العمل والتحصيل، أم إلى الخلاعة والتمثيل؟.

ويجب أن لا ننسى أبداً أن هذا الجنس الثالث من المخنّثين والمسترجلات، أو الفاسدين والعاهرات هم الأثرياء وهم

المبذّرين. . . ، إن الواحدة منهنّ تجمع ممّن نُربّيهم هذه التربية المبـالغ الطائلة، بل كلّ ما يحصل عليه الفقراء منهم، وربّما كان قوت عيالهم أحياناً من أجل أن يستمع إلى أغنيةٍ من هذه الفنانة، أو يُشـاهـد حركـة من تلك الراقصة. . ، وبعد هذا الجمع تصبح ثريةً فعلاً، بل في عداد كبار الأثرياء، وليس في الثراء عيب إن كان يأتي من حلال، ولكن أين الحلال؟ وأين يُنفق هذا المال؟ هل في طريقةٍ مشروعةٍ؟ هل يُستثمر؟ لا، لا هذا، ولا ذاك، وإنما في غير محلّه، في الحفلات السيئة، في المشروبات المُحرّمة، في اللباس غير المناسب، ليس من الغريب أن تشتري ثوباً فاخراً لتظهر به مرةً واحدةً ثم تُلقيه، وتفخر الواحدة بهذا الفعل، وبثمن الثوب، وكلّما كان الثوب غالياً كان الفخر أكبر. في حين أن من الشعب من يتضوّر جوعاً، وقد لا يجد ما يسدّ به رمقه، فهل هذا من العـدل؟ هل هذا من الإسـلام؟ وهـل بهذا نستطيع تحرير فلسطين، واقتحام القدس؟؟؟ هل هذا واجب المسؤولية التي ألقاها الله على كواهلنا؟.

٢ ـ الرياضة: وهي وإن كانت ضروريةً وأساسيةً، ويجب الاهتمـام بها، والتوجيه إليها على أنها وسيلةً للتدريب، وتقوية الأجسـام، غير أنـه لا يصحّ أن تصبح الوسيلة غايةً، نبذل من أجلها كافة إمكاناتنا، ونُفرّغ لها الشباب، لا عمل لهم سواها،

ولا همّ لهم غيرها، يعيشون دون إنتاج، ويحيون عالةً على المجتمع. كما لا يصحّ أن نجعل من غير المنتجين قدوةً للنشء، ومثالاً للجيل، فإن ذلك يُقلّل الإنتاج، ويُضعف الأمة، ويجعلها تتبع غيرها، ثم بعد ذلك نترك لهم الحبل على الغارب بالتصرّف في مقدّرات الناس، والرعي سائمين من غير حساب.

لا يصحّ أن نجعل الشغل الشاغل للناس التفكير بالرياضة، ومُتابعة نشاطها، والتفكير بألعابها، ونشغلهم بها عن قضايا الأمة الأساسية. إن البلدان المتخلّفة فقط، والبلدان التي لا تُريد أن يبحث الناس في أعمال مسؤوليها، ويطّلعوا على أعمالهم وتصرّفاتهم وسلوكياتهم هي التي تُشغل الناس في مثل هذه الترّهات، وهذه الأعمال الجانبية.

وهذا ـ مع الأسف ـ ما نُلاحظه في وسائل إعلامنا في أكثر أمصارنا الإسلامية.

قضايا الأمة

إن المراحل التي مرّت بها الأمة، وما اعتراها فيها من ضعفٍ، وجهلٍ، وبُعدٍ عن العقيدة، وما لحق تلك المراحل من تهاونٍ، واستهتارٍ، وانصرافٍ إلى الدنيا، وما فيها من لهوٍ وملذاتٍ، كلّ ذلك قد أفقد الأمة حيويتها فتراخت، وأمات فكرة الجهاد فذلّت، وصرفها إلى دنياها فخضعت، وقوي عليها الأعداء فخنعت وارتمت أمام الخصوم. . . ، ولم تستطع النهوض إلّا بعد زمن، وعندما نهضت وُسِّد أمرها من لم يرعَ حقّ الله فيها فبقيت ذاهلة لا تعرف واقعها، ولا تهتدي إلى خطّ سيرها، ولا تستطيع رفع رأسها.

إن ضعف الأمة قد جعلها تنصرف إلى قضاياها الخاصة اليومية، فكلّ فردٍ له من المشكلات ما يُلهيه عنه غيرها، وللمجتمع مشاغل تحول دون التفكير مما سواها، فتقوقع كلّ شعب ضمن إقليمه، وكلّ مجتمعٍ داخل بيئته، وكان الجهل يلفّ أبناء الأمة كلّهم في غطاءٍ كثيفٍ لا يرون منه نوراً، ولا

يستطيعون الشعور إلّا بمن حولهم، وكانت ظلمات بعضها فوق بعض.

ومع أننا نُسمّي واقعنا اليوم نهوضاً إلّا أن سيرنا لا يزال خلف من قهرنا بالأمس وأذلّنا، لقد بقيت مناهجنا كما وضعها لنا المستعمر تتحدّث عن تاريخه، وعن أرضه، إضافةً إلى أنها تتناول تاريخ الإقليم وأرضه فقط، أمَّا بقية أمصار المسلمين فلا نعرف شيئاً عن شعوبها، ولا عن تاريخها، ولا عن أرضها، ونتج عن ذلك أمور منها:

١ ـ ترسيخ فكرة الإقليمية، وتعميق جذورها، والاهتمام بها دون سواها، ونشوء الوطنية، والقومية، وبعدئذٍ تجزئة أوصال الأمة.

٢ ـ إماتة فكرة الأخوة الإسلامية، ووحدة الأمة.

٣ ـ إبقاء الجهل عن مواطن الشعوب الإسلامية.

٤ ـ الضعف، والتلاعب بنا بين دول الأرض.

٥ ـ الهزيمة النفسية، وقبول التبعية الفكرية.

لقد أصبح أهالي كلّ إقليم لا يُفكّرون إلّا بقضاياهم الخاصة

لكثـرتها، وأهميتها، وجهلهم بغير منطقتهم، وخاصةً إن كانت على بعدٍ ولو قليلٍ، فقضايا أهل المشرق لا يعرفها المغاربة، ومُشكـلات المغرب لا يسمع بها المشارقة، وكأنها تحدث في عالمٍ آخـر، على حين أن كثيراً من القضـايا العـالمية يعـرفها المشـارقـة والمغـاربـة معـاً لأن وسـائل الإعلام الدولية تتناولها بالدراسة والتعليق عليها، أمّا القضايا الإسلامية فيوجد تعتيم عام عليها بشكل مقصودٍ ومُبيّتٍ، وربما لا تصل وجهة نظر إسلاميةٍ عن قضيةٍ من قضايا المسلمين إلى أحد منهم غير أنها تصل إليهم وجهة نظر الدول الكبرى، أصحاب اللعبة الدولية، أو بالأحرى أعـداء المسلمين الذين يُخطّطون ضدّنا، ويعملون ليلاً ونهاراً لتهديمنا ونحن لا نستطيع أن نُسمع العالم وجهة نظرنا، جهلاً، وضعفاً، وشُغلاً بأمورٍ تافهةٍ، ووسائل إعلامنا لا تستطيع كذلك عجزاً، وتوجيهاً من غيرها، وجهلاً بالأحداث، وشُغلاً بأهل الفنّ وقضـاياهم من زواجٍ، وحبٍّ، وتقلّبٍ في الأحضان، والتفكير باختيار الفتاة الجميلة لوضعها على الغلاف فتنةً، وإغراءً، وتجارةً.

ومن انحصار التفكير في قضايا الإقليم نشأت فكرة الوطنية الضيّقة، والعصبية القومية، والتعصّب لهما، والتنافس في الدعوة إليهما، والمزاودة على الالتصاق بهما، فتجزّأت الأمة، فغدت

أوطاناً مُتباعدةً، وقوميات مُتناحرةً، وماتت فكرة الأخوة الإسلامية التي تعتمد على قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾، وانحسرت فكرة وحدة الأمة الإسلامية، إذ ما علاقة أهل هذا الوطن بآخرين بعيدين عنهم، وما صلة هذا القوم بأصحاب قوميةٍ ثانيةٍ تنأى عنهم، وتختلف عنهم بطباعهم وعاداتهم و. . . وأمورٍ كثيرةٍ ابتكروها، قومنا منذ أقدم العصور شادوا وبنوا، وأقاموا الحضارة على حين كان أصحاب تلك القومية غير معروفين لم يُقدّموا شيئاً، ولم يعرفوا شيئاً، و. . . ، لذا لا نهتمّ بهم، ولا نتعرّف على أحوالهم وأوضاعهم، وإنما نتعرّف إلى الدول الكبرى الولايات المتحدة، إنكلترا، فرنسا، روسيا، ألمانيا، . . . . أصبح الطالب المسلم عامةً في كلّ إقليمٍ يعرف شيئاً ما عن إقليمه، ويعرف الكثير عن الدول الكبرى تاريخاً، وجغرافيةً، وأعلاماً، ورجالاً، و. . . ، ولا يعرف عن الأقاليم الإسلامية شيئاً، وهذا من التوجيه العام في المدارس والجامعات، والمعاهد والكليات، والأمور العامة، حتى إنه في كثيرٍ من الأحيان تكون الأسئلة في المسابقات العامة تدور عن معلوماتٍ عن البلدان الأجنبية، ولا تتعرّض إلى أحوال المسلمين أبداً، بل ما يُطرح من معلوماتٍ عن الإقليم الوطن أقلّ بكثيرٍ ممّا يُطرح عن الدول الكبرى. لذا بقيت شعوب مسلمة كثيرة خارج نطاق معرفتنا وعلمنا.

من يدري من المسلمين عن الـــداغستـان، والشـاشـان، والأوزبـك، والشـراكسـة، والتـركمـان، والقـازاق، والقيرغيز، والـطاجيك، والأزريين، والتتـار، والبـاشكير. لقد حجبهم عنا جهلنـا، وتـوجيهنـا، والتعتيم عليهم، والستار الحديدي الذي ضُرب حولهم. هم يتقصّون أخبارنا، ونحن ننأى عنهم، ويُريدون الارتباط بنا، ونحن نفرّ منهم، لأننا لا نعرفهم، والإنسان عدوّ ما يجهل، وقليل الاهتمام بمن لا يعرف . . . ، ولو وقعت حادثة لدى شعب من هذه الشعوب الإسلامية، أو ألمّت بهم نازلة، كيف نعرفها؟ ومن وجهة نظر من نُحلّلها؟ إن الواقع يُؤكّد أننا نعرفها عن طريق أعدائنا، ومن وجهة نظرهم فقط، أمّا نحن فلا وسيلة لدينا للمعـرفـة، وليس لنـا وجهـة نظرٍ نُحلّل من خلالها الأحداث، ونُوضّح الرأي، ونُعطي الحلّ، وهم الأخوة لنا، وجزء من كياننا، إذن فما هو موقعنا من العالم؟ وما هي قيمة آرائنا وما نُبديه؟ ولنترك الجواب للقارىء.

ونتيجة التجزئة والتعصّب للإقليم والقومية غدت الأمة أشلاء مُمزّقةً، كلّ إقليمٍ جزء صغير، لا وزن له بين الدول الكبرى، اقتصاداً، ولا قوّةً، ولا إعلاماً، فيضطرّ أن يكون تبعاً لغيره، أو ريشةً في الفراغ تتقاذفها التيارات الهوائية، بل تتلاعب فيها أقلّ النسمات، ومع ذلك ربّما يتعاظم كلّ إقليمٍ داخل كيانه، وينفخ

داخـل أبـواقٍ كبيرة لكن لايسمع النداء إلّا أهل ذلك الإقليم، فينالهم ما يتطاير من ذلك التعاظم، ولا يُؤثّر أبداً على ما سواهم.

ونتيجةً للواقع المرّ الذي نتحدّث عنه فقد أصابت الهزيمة النفسية أعـداداً وأعـداداً، حتى غدوا يُريدون أن يخـرجـوا من جلودهم، ويدخلوا في جلودٍ ثانيةٍ لا تُشبه جلودهم لا من حيث اللون، ولا من حيث الجنس، ولا . . .، كأنهم يُريدون الانتماء إلـى غير ملّتـهم . . .، يرون كلّ شيءٍ في بلادهم سوءاً، ومن غيرها حضارةً ومدنيةً، يرغبون الابتعاد كلّ الابتعاد، حتى لغتهم أصبحـوا لا يُقيمون لها وزناً، اللافتات في بلادهم بلغةٍ ثانيةٍ، الحـديث، التعليم، التـوجيه، المكالمات، و. . .، يرون في ذلـك حضـارةً، يفخـرون بذلـك ويعتـزّون، ويُطالبون بالمزيد للارتقاء - حسب زعمهم - ويُصرّون، وتنتفخ أوداجهم بالمطالبة بذلـك، ويُصرّون على آرائهم دون بحثٍ، ومن غير النظر إلى النتائج. لغة القرآن لغتهم، وهي سبب عزّهم ورفعتهم، وبقاء أمّتهم، والمحافظة على وحدتها.

إنهم يُريدون التبعية الفكـرية لغيرهم، وأصبحت عنـدهم قابلية لقبول غيرهم يتحكّم فيهم، ويفرض عليهم لغته وسلطانه. ولنلق ضوءاً على بعض قضايا الأمّة المهمّة:

١ ـ **فلسطين**: جزء من الشام مبارك. اغتصبها اليهود، وادّعوا للعامة أنها أرض ميعادهم، وأيّدتهم الدول النصرانية، كيداً للمسلمين وحقداً، ومحاولةً لتجزئة بلادهم، واختلاف دولهم، ورغبةً في كسب اليهود إلى جانبها وجعلهم معول هدمٍ في أرض المسلمين، وحارساً لها على تنفيذ مُخطّطات تلك الدول النصرانية.

مع الضعف الذي كنّا عليه يوم أخذ اليهود وعداً من إنكلترا بأن تكون فلسطين وطناً لهم في ١٧ المحرم ١٣٣٦هـ (٢ تشرين الثاني ١٩١٧م)، وأخذ اليهود يستعدّون، ويُخطّطون، ويلقون الدعم والتأييد من إنكلترا خاصةً، ومن بقية الدول النصرانية عامةً، ويجمعون المال من يهود العالم، ولم نشعر إلّا بناقوس الخطر يدقّ، فحاول الشعب النهوض فأخذ يتعثّر، وحقّق اليهود بعض الأهداف المرحلية، وبدؤوا ينتقلون منها إلى أهداف أخرى في مراحل تاليةٍ، أمّا نحن فقد أخذنا في الانتقال من مرحلةٍ تراجعيةٍ إلى أخرى مثلها.

أ ـ حصرنا قضية فلسطين في الشعب العربي، ولم نعمل على جعلها قضيةً إسلاميةً، وضيّقنا بذلك دائرة عملنا، وغدا كثير

من المسلمين خارج نطاق الشعب العربي لا يعرفون عن قضية فلسطين إلاّ من خلال وسائل إعلام العدو من نصارى ويهود. والواقع أن الشعب كان في حماسةٍ يرفض المفاوضة، ويأبى اللقاء، ويمتنع عن قبول أي حلّ سوى القتال وطرد اليهود، ويُنادي بالتوعية والأخذ بالاستعداد حتى مرّ الزمن.

ب ـ عدنا إلى تضييق دائرة العمل، فحصرنا القضية في البلدان العربية المجاورة، وأطلقنا عليها الصمود والتصدّي، وطلبنا من الدول الأخرى الدعم المادي والتأييد. وأصبح مواطنو الدول العربية البعيدة نسبياً لا يعرفونِ عن فلسطين إلاّ القليل، وهو ما تنشره وسائل العدو من صليبيين وصهاينةٍ. وغدا الاهتمام بالموضوع قليلاً حسب السياسة العامة المرسومة من قبل المستويات العليا.

جـ ـ انتقلنا إلى مرحلةٍ ثالثةٍ، فجعلنا قضية فلسطين محصورةً في أبنائها، وإذا كانت لنا بعض الهيمنة على أجزاء منها، فقد تنازلنا عنها، وألقينا التبعة على أبنائها. وقدّمنا على الأبناء من لا نعرف لهم تاريخاً، إلاّ ادّعاءً ظهر كذبه، واعترف أصحابه بمغالطاتهم، بل إن بعض المنظمات الإسلامية التي كان لها دور في الدفاع عن فلسطين وقتال اليهود، أصبح رؤساؤها

الآن يرون أن الوضع يتعلّق بأبناء فلسطين[1].

د ـ أمّا المرحلة الرابعة التي نحياها فقد طلبنا من الدول الكبرى حلّ هذه القضية باسم مؤتمر السلام، وألقينا التبعة عليهم، وأعلنا أننا على استعدادٍ لتحقيق ما تراه تلك الدول، وندعو اليهود لحضور ذلك المؤتمر، ونحثّهم، ونتنازل عن بعض ما نُريده شيئاً فشيئاً في سبيل حضور ذلك المؤتمر.

ونحن في هذه المرحلة نحتجّ إلى الدول الكبرى، ونشجب إلى العالم كلّما انتقل اليهود من مرحلةٍ إلى أخرى، أو اتخذوا وسيلةً جديدةً لتحقيق هدفٍ جديدٍ. وهكذا ديدننا. عند العدوان الثلاثي، عند ضمّ اليهود غزة، والضفة الغربية، واحتلال مرتفعات الجولان. عند حريق المسجد الأقصى، عند نقل اليهود عاصمتهم من تل أبيب إلى القدس، عند هجرة اليهود من الامبراطورية الروسية إلى فلسطين بعد اتفاق الدولتين العظميين، و. . . .

ولست أدري ما هي المرحلة الجديدة التي سننتقل إليها، أو

---

(١) انظر تصريحات محمد حامد أبو النصر، المرشد العام للإخوان المسلمين، في مجلة «المجتمع» الكويتية.

الخندق الجديد الذي سنرابط فيه بعد أن تقادم الزمن؟ .

٢ ـ كشمير: قضية إسلامية حدثت عند تقسيم شبه القارة الهندية بين المسلمين والهندوس، في وقتٍ قريبٍ لقضية فلسطين، بل نعدّها مزامنةً لها.

حصرنا قضية كشمير في البلدان المجاورة لها، وهي باكستان التي عدّتها قضيتها، وتبنّت وسائل إعلامها التعريف بها، وسفاراتها أخذت تدعو لها. واهتمّ بالأمر مسلمو الهند، وبعض التنظيمات الإسلامية في بقية الأمصار. . . ، وطال الزمن، وحصرت القضية في أروقة الأمم المتحدة.

وبين المدة والأخرى ينتقل الهندوس من مرحلةٍ إلى أخرى، ويقومون ببعض الإجراءات لتنفيذ مُخطّطاتهم، ويُرافقها قتل المسلمين، وتهجيرهم، واعتداءات، وإجرام . . . ، وتترنّح أروقة الأمم المتحدة، ويتحرّك المسلمون وتنظيماتهم بعض الشيء، ثم يستقرّ الوضع بعد أن يكون الهندوس قد انتهوا من تنفيذ مُخطّطهم المرحلي، ومرّروا ما يُريدون، وتصمت الأمم المتحدة، ويسكت المسلمون، وينامون قليلاً حتى تُزعجهم مرحلة ثانية من تنفيذ المُخطّط الهندوسي.

٣ ـ أفغانستان: قضية إسلامية نشأت عندما سيطر

الشيوعيون على مقاليد الحكم فيها بدعمٍ من الروس، ولمّا شعر الـروس أن رفـاقهم على درجـةٍ من الضعف تقـدّموا بجيوشهم وسيطروا على مقـدّرات البـلاد، وادّعـوا أن رفاقهم الحكّام قد دعوهم لدعمهم. وهبّ المسلمون في أفغانستان يُجاهدون ضدّ الاحتـلال الـروسي، وضـدّ الحكم الشيوعي، واهتـزّ الشعـور الإسـلامي في كلّ مكـان، وهبّـوا في بعض البلدان يمـدّون المجاهـدين بالأمـوال، ويذهب المتـطوعـون لمساعدة هؤلاء المجاهدين الضعفاء أمام الغزاة من الروس الذين يملكون القوّة الثانية في العالم.

لم يكن الدعم الإسلامي للمجاهدين الأفغان عامةً، وإنما انحصر في دول الخليج عامةً، والمملكة السعودية خاصةً، ثم كان من التنظيمات الإسلامية التي وإن كانت فقيرة، ولا تستطيع أن تُرسـل المتـطوعين، حيث ترفض دولها ذلك إلّا أنها كانت بجانب المجاهدين في مشاعرها، وربّما تمكّن بعض أعضائها من التسلّل إلى هناك للمساهمة في الجهاد. ولا شكّ أن باكستان قد دعمت المجـاهدين، وتحمّلت الكثير نتيجة لجوء الملايين إلى أرضهـا، وكـان عليهـا إيواؤهم، ومسـاعـدتهم، وحمـاية معسكراتهم وقادتهم، حتى ليعدّ ذلك فوق طاقتها.

وربّما كانت الحكومات والمنظّمات التي تقوم على أساس العصبية القومية لا تهتمّ بهذا الأمر لأنه خارج نطاق دعوتها، وإذا كان من النوع الاشتراكي كانت بجانب الروس ضدّ المجاهدين.

وخرج الروس الغزاة، ولكنهم لم يتوقّفوا عن دعم رفاقهم الذين يتسلّمون السلطة، وطالت المدة، وفترت الهمّة، وقلّ الاهتمام، حتى كاد الأمر أن يُنسى إلّا ممّا يوليه الشعب في جزيرة العرب من اهتمامٍ في البذل، والتطوّع، وما ينشر في وسائل الإعلام المختلفة.

٤ ـ فطاني: قضية إسلامية، إذ احتلّ التايلانديون البوذيون هذه المنطقة الإسلامية من شمالي ماليزيا، منذ أكثر من مائتي عام. ولما كان هذا الاحتلال قد تمّ عندما كان المسلمون على درجةٍ كبيرةٍ من الضعف، ويتحكّم في كثيرٍ من أمصارهم المستعمرون الصليبيون، لذا بقيت القضية مجهولةً، ولما أخذ المسلمون ينفضون عن عيونهم غبار الماضي المتراكم لم يذكروا فطاني لأنه قد تقادم عليها العهد.

عادت قضية فطاني إلى الساحة عندما تحرّك أهلها، وثاروا ضدّ مستعمريهم نتيجة الظلم، وكانت هذه الثورة عندما أخذ المسلمون يصحون من غفلتهم، ومع ذلك فلم تصل إلّا إلى

مسامع القليل نتيجة الوطنية الضيّقة، والعصبية القومية فبقيت القضية خارج دائرة الساحة الإسلامية ـ مع الأسف ـ إلاّ على نطاق ضيّق لدى بعض التنظيمات الإسلامية، وفي جزيرة العرب التي قدم إليها بعض المهاجرين الفطانيين، الذين فرّوا نتيجة الضغط عليهم، والظلم لهم، فوجدوا المأوى والاستقرار. ووُجدت بعض المكاتب الإعلامية لفطاني في عددٍ قليلٍ من الدول الإسلامية، لكنها لم تستطع النشاط على المستوى المطلوب.

٥ ـ **جنوبي الفيليبين**: وهي قضية إسلامية تعود جذورها إلى القرن العاشر الهجري، حيث بدأت مع وصول المستعمرين الصليبيين مع ماجلان الذي هلك هناك قتيلاً عندما طلب من المسلمين العمل تحت راية الصليب، وأرسلت إسبانيا الحملة تلو الحملة حتى تمكّنت من إحكام قبضتها، وانزوى المسلمون في الجنوب من تلك الجزر التي كانت جميعاً تحت ظلّ الحكم الإسلامي.

وورثت الولايات المتحدة إسبانيا في دورها، وأخنعت قوّة المسلمين، وأسكتهم ضعفهم، وضعف إخوانهم في كلّ مكان.

ولما أراد المسلمون في جنوبي الفيليبين النهوض تصدّى لهم

النصارى، وأرادوا إطفاء شعلتهم، فثار المسلمون، ووقعت الأحداث، ولكن الوطنية الضيّقة والعصبية القومية حالتا دون إثارة حماسة المسلمين الذين لم تصل إليهم أخبار إخوانهم إلاّ مُشوّهةً عن طريق الأخبار العالمية، ومن الرجال المسافرين، فبقيت القضية مقهورةً، وإذا كانت العربية السعودية قد أعطتها شيئاً من اهتمامها، وأبدت ليبيا شيئاً من ذلك أيضاً. وعُقد مؤتمر في طرابلس ضمّ الحكومة الفيليبينية ورجال الثورة المسلمين هناك، وبعض الدول الإسلامية، وتمّت اتفاقية لم تلبث حكومة الفيليبين أن نقضت ما أبرمته، وطال الزمن، وأصاب بعضهم الوهن، وحدث انقسام بين أنصار القضية وحامليها، وكادت القضية أن تُنسى إلاّ من خلال نشرةٍ أو خبرٍ عابرٍ، والمسلمون في دوّامة الحياة يُعاركونها وتُعاركهم.

٦ ـ لبنان: وقد ألمحنا عنها، ويكفي ما أشرنا إليه، ولسنا الآن بصدد دراسة كلّ قضيةٍ. . . ، وإنما التعداد.

هذه بعض قضايا المسلمين، ويجب ألاّ ننسى أرتيريا، بل يكاد لا يخلو مصر من قضيةٍ، والأقليات المسلمة في العالم، لكلّ أقليةٍ قضية، بل قضايا: المسلمون في بلغاريا، في يوغسلافيا، في اليونان، في قبرص، في أوغندا، في

ليبيريا. . .، في كلّ مكان من العالم.

إذا أردنـا أن نعرف أهمية قضايا المسلمين بين أصحابها، وأن نُدرك مقدار اهتمامهم بها، لننظر ما هو الحيّز الذي تُشغله في وسائل إعلامهم؟ بل ما هو الحيّز الذي تحتلّه بالنسبة إلى ما تشغله الرياضة، وأخبار عاهرات المجتمع؟.

إن بعض المجلات التي تدّعي الوعي والسياسة تُخصّص **٣٢** صفحةً من صفحاتها البالغ عددها ـ عادةً ـ **٦٤** صفحةً، أي النصف، للراقصـات والمغنيّات، وحفلاتهن، وأخبارهن. وقد نجد فيما بقي من الصفحات خبراً عارضاً عن فلسطين، وقد لا نجد، وهو الغالب.

وتهتمّ مجـلات كثيرة، ومـا أكثـرهـا!!! وهي تتنـافس في الصدور يوماً بعد يوم، وتفتخر بوضع صورةٍ فاتنةٍ على الغلاف، للإغراء، والإفساد، والتجارة بالحرام. . .، وتكفي هنا الإشارة إلى هذا.

إذن: إن قضايا المسلمين الكبرى تقبع في زاويةٍ ميتةٍ من مجال تفكيرهم وعملهم. . .، فهل ننتظر من العدوّ العمل لقضايانا؟!.

لقـد أصبحت قضايا المسلمين على هامش حياتهم لأنهم انصرفوا إلى الملذّات، ويعيشون حياة التبعية لغيرهم.

القَضايا الدَّوليَّة

إذا كانت قضايا المسلمين الأساسية تقبع في زاويةٍ ميتةٍ من حياتهم، فلا شكَّ أن القضايا الدولية ليست في دائرة حسابهم، وإنما يستمعون إليها كأخبارٍ عابرةٍ، ولا داعي للتعليل، أو بحث التحليل، وإذا كان لا بدّ منه عند طرح الموضوع في جمعٍ فإنما نعتمد على التحليل المستورد من أصحاب العلاقة، ومن الذين يعيشون في العالم ويعدّون أنفسهم أفراداً من أبنائه، ورجالاً من رجال عمرانه وبنائه، وما هم إلّا أصحاب مصالح وأحقاد.

إننا لا نهتمّ بالقضايا الدولية لأننا نعيش على هامش العالم، على حين أن المسلم يعـدّ العـالم كلّه ساحـة عمله، وميدان دعوته، فيُتابع قضاياه ليتلمّس طريق انسياحه، ومجال نشر فكره، ويُوالي البحث ليرسم المُخـطّط ويبدأ بالتنفيذ، فرسول الله ﷺ عنـدمـا أشـار على أصحـابـه بالهجـرة إلى الحبشة أنبأهم عن النجـاشي، وأخبـاره، وصفاته، ولم يكن هذا قد عرفه عرضاً، وإنما بالسؤال والتقصّي، وإن كان الله سبحانه وتعالى يُوحي إليه

بما يشاء، ولكن لا بدّ من الأخذ بالأسباب. والحروب بين الروم والفرس لم تكن بعيدةً عن تفكير المسلمين رغم مُشكلاتهم التي يُعانون منها الكثير، وحتى جاء الوحي بكلام الله عن أنباء ذلك الصراع الدائر بين الدولتين العُظميين آنذاك، وما سيكون في المستقبل بعلم الله ومشيئته. وأخبار الفرس واليمن لم تكن خافيةً أيضاً، ولعلّنا نذكر كيف أنبأ رسول الله ﷺ مبعوث حاكم اليمن من قبل الفرس أن ولد كسرى قد قتل أباه، وتسلّم السلطة مكانه، ولمّا يصل الخبر بعد إلى عامل فارس على اليمن. وإذا كان هذا وحياً من الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم إلاّ أنه يُعطي دلالةً ومؤشراً لاهتمام المسلمين بما يدور حولهم، وما يحدث في بقية العالم. فنحن على درجةٍ كبيرةٍ من التقصير بما يأمرنا به ديننا من أن نكون على مستوى العصر الذي نعيش فيه.

الخاتمة

لقد أعطيت صورةً عن واقعنا الذي نعيش فيه، وما يفتك به من أمراضٍ، وما يُعاني من مفاسد وهزائم نفسيةٍ، وما فيه من أتباعٍ لغير أمتنا، ومُقلّدين لأعدائنا، وذلك ليضع كلّ مسلمٍ يده على الداء، ويُحاول بتره قبل أن يستشري في جسم الأمة كلّها.

وإذا كنت لم أصف الدواء لكلّ مرضٍ أو علّةٍ ممّا قد ألمحت إليه فإني أترك هذا لكلّ فردٍ ليُقدّم ما يستطيع تقديمه من أدويةٍ يراها ناجعةً مع أني قدمت بعض العقاقير أثناء معالجتي بعض الموضوعات في كتبٍ ورسائل أخرى.

ومع ذلك فإني آمل من كلّ مسلمٍ:

١ ـ محاولة التعرّف على مخطّطات الأعداء، وأساليبهم، ووسائلهم، كي يُمكن تجنّبها والتنبيه عليها بمختلف الوسائل والسّبل.

٢ ـ البعد عن التعصّب للقوم، أو الإقليم، أو الجهة، أو

المدينـة، أو التنـظيم، وكثيراً ما يقع أناس بهذا، وهم يتهمون غيرهم. وإن التعصّب ضدّ الآخرين باتهامهم كالتعصّب للجهة.

٣ ـ الابتعـاد عن طرح أفكارٍ منفّرةٍ، لمزاجٍ شخصي، أو لجهـلٍ بالمحيط نتيجـة التقـوقـع، كأولئـك الـذين يُحـاربون الانتماء، وهم لا يعرفون ما يدور داخل العالم.

٤ ـ الاستعلاء بالإيمان والحذر من الوقوع في شباك الطغاة لتحقيق بعض المصالح.

٥ ـ التعـرّف الـدائم على الشعـوب الإسـلامية ومـواطنهـا ومشكلاتها، تقويةً للأخوة الإسلامية، واستشعاراً دائماً بقضاياها.

٦ ـ التعـرّف الـدائم على المحيط، ومـا يجـري فيه من مُخالفاتٍ، ومُوافقاتٍ.

٧ ـ مُتابعة قضايا العصر ليكون المسلم دائماً على بيّنةٍ من أمره وعالمه.

٨ ـ الاهتمـام المستمـر بدراسة العقيدة، ومحاولة التخلّق بأخلاق القرآن.

٩ ـ المسلم قدوة فيجب أن يكون على المستوى المطلوب.

١٠ ـ التميّز بالشخصية المسلمة.

١١ ـ الحذر من بعض وسائل الإعلام، من صحفٍ ومجلات، ولو حملت اسماً عربياً، فإن ديدن بعضها الهجوم على المسلمين، وإثارة أعدائهم عليهم، كمبدإٍ لها، على أنها من الأتباع.

وفي الختام نرجو الهداية من الله، وتسديد الخطا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تم بحمد الله

الفهرس